السخرية مفهومها وصورها وأسبابها وأثرها على الدعوة

د/ فهد عامر العجمي

الأستاذ المشارك بكلية التربية الأساسية قسم الدراسات الإسلامية

بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت

السخرية مفهومها وصورها وأسبابها وأثرها على الدعوة

فهد عامر العجمي

قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية الأساسية، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب ، الكويت .

البريد الإلكتروني: fahd@ hotmail.com

الملخص :

يتناول البحث موضوع السخرية وأثرها في الدعوة وكيفية معالجتها، وانتظم في أربعة مباحث، تناول المبحث الأول: تعريف السخرية والفارق بينها وبين الاستهزاء واللعب والمزاح، وتناول المبحث الثاني: حديث القرآن والسنة عن السخرية، ثم تناول المبحث الثالث: صور السخرية وأسبابها، وذكر من صورها: الهمز واللمز، والتنابز بالألقاب، والتهكم، وذكر من الأسباب: الحسد، والحقد، والرغبة بالتسلية والضحك، والجهل، وضعف العقل، وتناول المبحث الرابع: آثار السخرية على الفرد والمجتمع والدعوة الإسلامية وكيفية معالجتها، وكيف استطاع الإسلام أن يحمي نبيه ﷺ والفئة المؤمنة من سخرية المشركين والمنافقين.

وكان من نتائج البحث: أن السخرية لا تلزم صورة واحدة بل لها صور منها: الهمز واللمز، والتنابز بالألقاب، والتهكم والتعيير، وأنها أسلوب قديم استخدمه أعداء الدعوة الإسلامية كوسيلة من الوسائل التي تمكنهم من قمع الدعوة الإسلامية ووقف مسيرتها؛ وهذا ما حدث مع الأنبياء وأصحاب الدعوات على مرِّ التاريخ وحتى يومنا هذا، وأن القرآن والسنة اشتملا على معالجات سديدة لها آثار السخرية وبخاصة تلك الآثار المتعلقة بالواقع الدعوي، للدعاة دور عظيم في مواجهة آثار السخرية والاستهزاء.

الكلمات المفتاحية : السخرية، مفهوم السخرية ، صور السخرية، أسباب السخرية، أثر السخرية .

Irony, its concept, its causes and its impact on the call

Fahd Amer Al-Ajmi

Department of Islamic Studies, College of Basic Education, Public Authority for Applied Education and Training, Kuwait.

E-mail : fahd@ hotmail.com

Abstract:

The research deals with the subject of irony and its impact on advocacy and how to treat it. It is organized into four sections. The first topic deals with the definition of irony and the difference between it and mockery, play and jokes. The second topic deals with the Qur'an and Sunnah talk about irony, then the third topic deals with images of irony and its causes, and mentioned its images. Provocations, insults, name-calling, sarcasm, and he mentioned among the reasons: envy, hatred, desire for entertainment and laughter, ignorance, weakness of the mind, and the fourth topic: the effects of sarcasm on the individual, society and the Islamic call and how to address it, and how Islam was able to protect its Prophet and the believing group from The mockery of polytheists and hypocrites.

One of the results of the research: that irony does not necessitate one form, but rather has forms, including: provocation and blaming, name-calling, sarcasm and slander, and it is an old method used by the enemies of the Islamic call as one of the means that enables them to suppress the Islamic call and stop its path; This is what happened with the prophets and the people of da'wah throughout history and to this day, and that the Qur'an and the Sunnah contain sound treatments that have the effects of ridicule, especially those effects related to the advocacy reality. The preachers have a great role in confronting the effects of ridicule and mockery.

Keywords: Irony, The Concept Of Irony, Images Of Irony, Reasons For Irony, The Effect Of Irony.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الكريم محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،،

فقد أنزل الله تعالى القرآن العظيم؛ هداية للبشرية، وداعياً إلى الخير النافع في الدنيا والآخرة، ومحذراً من الشر الضار في عاجلنا وآجلنا، ومن هذه الشرور التي حذرنا منها القرآن الكريم؛ جملة من الأخلاق الخبيثة؛ والتي لاتستقيم مع الفطرة السليمة؛ ومن هذه الأخلاق المذمومة؛ السخرية والاستهزاء، وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعضبالقول أو الفعل أو الإشارة، وبين أن هذا الأسلوب قد يدخل الإنسان إلى دائرة الفسق بعد أن تحلى بصفات الإيمان.

وقد حذر رسولنا الكريم ﷺ من هذا الخلق المذموم، في نصوص كثيرة في السنة النبوية،وعدَّ ذلك من كبائر الذنوب، ومانعاً من دخول الجنة؛ لذا كان الحديث في هذه الصفحات عن هذا الخلق المذموم، نتعرف فيها عن حقيقة مصطلح السخرية في اللغة والاصطلاح، والفرق بينه وبين بعض المصطلحات التي قد تترادف أحياناً مع مصطلح السخرية، مثل الاستهزاء، واللعب والمزاح، وغيرها من المصطلحات، ثم نبين واقع هذا المصطلح في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، ونوضح بعد ذلك صوراً للسخرية والاستهزاء؛ كالهمز واللمز، والتنابز بالألقاب، والتهكم والتعيير.

ثم نبحث عن بعض الأسباب والدوافع التي تؤدي إلى السخرية والاستهزاء، ندرس بعضها وهي، الحسد، والحقد والبغضاء، والجهل، والرغبة بالتسلية والضحك على الآخرين، وكذلك ضعف العقل.

ثم نتحدث عن آثار هذه السخرية والاستهزاء على الفرد والمجتمع، وعلى الدعوة الإسلامية، ونوضح كيف واجه الإسلام السخرية والاستهزاء الذي قام بها أعداء الدين، تجاه المسلمين، وكيف استطاع الإسلام أن يحمي نبيه ﷺ والفئة المؤمنة من سخرية المشركين والمنافقين.

مشكلة الدراسة:

تتعلق مشكلة الدراسة بخلق مذموم كثيرا ما يقع الخلط بينه وبين بعض المفاهيم ذات الصلة به، وكثيرا ما يلجأ إليه البعض بداع من المزاح ظنا منهم مشروعيته، مما يستوجب معه التمييز بين السخرية وغيرها، مع بيان أسبابها وخطورتها على المجتمع بعامة وعلى الواقع الدعوي بخاصة.

وتتفرع عن هذه المشكلة الأسئلة التالية:

١.ما مفهوم السخرية وما الفرق بينها وبين الاستهزاء؟

٢.ما أهم صور السخرية التي يقع فيها البعض؟

٣.ما أسباب السخرية ودوافعها؟

٤.ما أمثل السبل لمواجهة السخرية دعوياً؟

أهداف الدراسة:

١.إزالة اللبس الواقع عند البعض نتيجة الخلط بين مفهوم السخرية وبعض المفاهيم ذات الصلة به كلاستهزاء.

٢.بيان صور السخرية، وأسبابها ودوافعها حتى يحذرها المدعوون.

٣.كشف اللبس عند بعض الناس حول بعض الوسائل الحديثة التي ربما لا يظن الناس إنها ليست من السخرية والاستهزاء وهي في الحقيقة منها.

٤.الكشف عن أمثل الطرق لمعالجة السخرية وآثارها.

٥.تطيب نفوس الناس من الحقد والكراهية وحب الانتقام الذي يتولد من السخرية والاستهزاء، وبخاصة في مجال الدعوة.

٦.بيان ما توعد الله به الساخر والمستهزئ من العذاب المهين فيكون زاجرًا ورادعًا لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

أهمية الدراسة:

١.تعلق الموضوع بالجانب الخلقي وهو أمر في غاية الأهمية؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق[١].

٢.السخرية خلق مذموم كثيرا ما يتعرض لها العاملون في حقل الدعوة فكان لا بد من بيان خطورته، وآثاره على الدعاة بخاصة وعلى المجتمع بشكل عام.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة في موضوع السخرية وبخاصة في مجال الدعوة:

-السخرية في القرآن الكريم وألفاظها - دراسة وصفية، جميل محمدعدوان، مجلة الدراسات الإسلامية- جامعة الأقصى، غزة،المجلد ٨، العدد ١، يوليو ٢٠١٩م.

-محنة السخرية والاستهزاء بالدعوة في ضوء القرآن الكريم، عبد السميع خميس العرابيد،مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين، ١٦-١٧ أبريل، ٢٠٠٥م.

([١])أخرجه البيهقي في الكبرى: كتاب الشهادات، بيانمكارمالأخلاقومعاليها، (٣٢٣/١٠)، رقم (٢٠٧٨٢). قال ابن عبد البر: متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره. ينظر: العجلوني، إسماعيل بن محمدبن عبدالهادي الجراحي العجلوني (المتوفى: ١١٦٢هـ)، كشف الخفا، المكتبة العصرية- بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م (٢٤٠/١).

-منهج القرآن الكريم في التصدي لأساليب الحرب النفسية (أسلوب السخرية أنموذجا)، الحمامي وآخرون ، هاشم نغيمش عمان، الأردن، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، مجلة العلوم الاجتماعية، مارس ٢٠١٧، العدد(٢٣).

وهي دراسات يمكن الإفادة منها؛ لإثراء دراستنا بجهود السابقين.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على تعتمد الدراسة على المنهج: الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي، عن طريق استقراء تعريف السخرية والتمييز بينه وبين المفاهيم ذات الصلة به، وتحليلها صور وأسباب هذا الخلق المذموم، للوصول إلى معالجات شرعية ودعوية له يستفيد منها الدعاة، وينقلونها إلى المدعوين.

خطة الدراسة:

انتظمت الدراسة في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم السخرية، والألفاظ ذات الصلة بها
المطلب الأول: مفهوم السخرية في اللغة والاصطلاح
المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة بالسخرية
المبحث الثاني: السخرية في مجال الدعوة في القرآن والسنة
المطلب الأول: السخرية في مجال الدعوة في القرآن
المطلب الثاني: السخرية في مجال الدعوة في السنة
المبحث الثالث: صور السخرية وأسبابها
المطلب الأول: صور السخرية
المطلب الثاني: أسباب ودوافع السخرية
المبحث الرابع: آثار السخرية على الفرد والمجتمع والدعوة الإسلامية وكيفية مواجهتها
المطلب الأول: آثار السخرية على الفرد والمجتمع
المطلب الثاني: آثار السخرية على الدعوة
المطلب الثالث: الدعاة ومواجهتهم للسخرية

الخاتمة:

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا، وأن يتقبله منا خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله أولاً، وآخراً، وصلى الله علي سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

مفهوم السخرية، والألفاظ ذات الصلة بها

المطلب الأول

مفهوم السخرية في اللغة والاصطلاح

إن تحديد المفاهيم من أوليات المهام في البحث العلمي، وقد اشتمل هذا البحث على عدة مصطلحات، لعل أهمها مصطلح السخرية، وهو العنوان الرئيس لهذا البحث؛ لذا سيتضح في السطور التالية مفهوم هذا المصطلح في اللغة؛ من خلال البحث في المعاجم الأصيلة للغة العربية، وحتى يتجلى معنى هذا المصطلح سنتعرض لمعناه الاصطلاحي من خلال ما كتبه علماء الأخلاق الإسلامية، وسنربط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي؛ حتى يتضح المعنى؛ فالحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقول الأصوليون والمناطقة.

مفهوم السخريَّة في اللغة

تعددت معاني كلمة السخرية وما يشتق منها في معاجم اللغة العربية، فابن فارس في مقاييس اللغة يشير إلى أصل هذا المصطلح ومعناه اللغوي فيقول: " السين والخاء والراء؛أصلٌ مطّرد مستقيم يدلُّ على:احتقار واستذلال" [١]

وابن منظور في لسان العرب يورد عدة معاني للسخرية؛ منها: الاستهزاء، والضحك، وقهر الشيء وتذليله، واستغلال الآخرين بلا أجر ولا ثمن؛فيقول:

" سَخِرَ مِنْهُ وَبِهِ سَخْراً،وسَخَراً،ومَسْخَراً، وسُخْراً، بِالضَّمِّ، وسُخْرَةً،وسِخْرِيّاً وسُخْرِيّاً،وسُخْرِيَّة: هَزِئَ بِهِ، والسُّخْرَةُ: الضُّحْكَةُ، وَرِجْلٌ سُخَرَةٌ: يَسْخَرُ بِالنَّاسِ. والسُّخْرَةُ: مَا تَسَخَّرْتَ مِنْ دابَّة أَو خَادِمٍ بِلَا أَجر وَلَا ثَمَنٍ، وَيُقَالُ: سَخَرْتُه بِمَعْنَى:سَخَّرْتُه أَي قَهَرْتُه وَذَلَّلْتُهُ." [٢]

---

(١)ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر،ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م،(١٤٤/٣).

(٢)ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط١٤١٤،٣ هـ، (٣٥٣/٤)، وينظر: الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت – صيدا، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، (١٤٤/١).

وجاء في معجم لغة الفقهاء معنىً آخر للسخرية وهو:التهكّم.[١]

ومما سبق عرضه لمعنى كلمة السخرية في اللغة، يتضح أنها تدور حول عدة معان، وهي: الاحتقار، والاستهزاء، والتهكم، والضحك على الآخرين، واستغلال الآخرين ومنعهم من الأجرة والثمن، ولعل المعنى الأخير من معاني السخرية يتفق مع المعاني الأخرى، في أن الذي يستغل شخصاً بلا أجر فهو يذله ويضره مادياً ونفسياً، ويلحق الأذى الكبير به.

مفهوم السخرية في الاصطلاح

بعد أن تعرفنا على مفهوم السخرية في معاجم اللغة العربية، نحاول في السطور التالية التعرف على المعنى الاصطلاحي؛ من خلال أقوال العلماء الأثبات، وتحليل هذه الأقوال؛ حتى يتضح المعني ويزول الإشكال.

يقول أبو حامد الغزالي في تعريف السخرية:" وَمَعْنَى السُّخْرِيَةِ:الِاسْتِهَانَةُ وَالتَّحْقِيرُ وَالتَّنْبِيهُ عَلَى الْعُيُوبِ والنقائص عَلَى وَجْهٍ يُضْحَكُ مِنْهُ،وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ بالمحاكاة في الفعل والقول،وقد يكون بالإشارة والإيماء."[٢]

فالغزالي في هذا التعريف يوضح حقيقة السخرية؛وهي ذم الأفعال والصفات للشخص الذي يسخر منه، وتنقيصه، وازدرائه،ويوضح وسائل السخرية في أنها تكون بالفعل والقول والإيماء والتلميح والتعريض.

ويعرفها ابن حجر بقوله: " السُّخْرِيَةِ:هِيَ فِعْلُ السَّاخِرِ وَهُوَ الَّذِي يُهْزَأُ مِنْهُ وَالسُّخْرِيَةُ تَسْخِيرٌ خَاصٌّ وَالسُّخْرِيَةُ سِيَاقَةُ الشَّيْءِ إِلَى الْغَرَضِ الْمُخْتَصِّ بِهِ قَهْرًا فَوَرَدَ النَّهْيُ عَنِ اسْتِهْزَاءِ الْمَرْءِ بِالْآخَرِ تَنْقِيصًا لَهُ مَعَ احْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ فِي نفس الْأَمر خيراً مِنْهُ." [٣]

ويظهر من تعريف ابن حجر السبب الداعي للسخرية وهو احتقار الآخرين بغرض التنقيص منهم، والتقليل من شأنهم، والقضاء على شخصيتهم.

---

(١)قلعجي، محمد رواس، قنيبي، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (٢٤٢/١).

(٢)الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، بيروت، دار الخير، ط١، ١٩٩٧ م، (٢٧٧/٣).

(٣)ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩ هـ، (٤٦٤/١٠).

ويعرفها ابن تيمية أنها:"حَمْلُ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ عَلَى الْهَزْلِ وَاللَّعِبِ؛لَا عَلَى الْجِدِّ وَالْحَقِيقَةِ؛ فَالَّذِي يَسْخَرُ بِالنَّاسِ هُوَ الَّذِي يَذُمُّ صِفَاتِهِمْ وَأَفْعَالَهُمْ؛ذَمًّا يُخْرِجُهَا عَنْ دَرَجَةِ الِاعْتِبَارِ." [١]

ويتضح من تعريف ابن تيمية أن السخرية إخراج الأقوال والأفعال من كونها أعمال معتبرة محترمة إلى أعمال ساقطة غير معتبرة وذلك عن طريق الذم والاستهزاءوالتهكم.

و يعرفها حنفي على أنها:" أسلوب وسلاح عدائي، يتميز عن غيره من أساليب الأعداء بأنه مصوغ بروح الفكاهة وأسلوبها." [٢]

ويتضح من هذا التعريف؛ الدافع وراء أسلوب السخرية، وهو العداء؛ فالعدو يتربص بالآخرين، ويسفههم، ويعددعيوبهم، ويذمهم بأسلوب استهزائي؛ بغية التقليل من شأنهم.

وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يكن غيبة وفيه معنى الغيبة[٣].

ومما سبق عرضه من تعريفات لكلمة السخرية في اللغة والاصطلاح؛ يمكن تعريف السخرية بأنها: أسلوب يحمل بين طياته الاستهزاء والتحقير والتنقيص من الآخرين؛على وجه مضحك، وقد يكون هذا التنقيص بالقول أو الفعل أوالإيماء أوالتلميح والتعريض.

المطلب الثاني

الألفاظ ذات الصلة بالسخرية

إتماماً للفائدة حول مفهوم السخرية نقول:إن هناك بعض الألفاظ التي قد تكون مترادفة مع كلمة السخرية،أو مشتركة معها في المعنى أو قريبة الاشتراك، ومن هذه الألفاظ الاستهزاء، واللعب، والمزاح، والضحك، والتهكم، وغيرها من الألفاظ، وفي

---

(١)ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى، بيروت،دار الكتب العلمية،ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، (٢٢/٦).

(٢)حنفي، عبد الحليم، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط،١٩٨٧م، (٢٢/٢).

[٣] انظر: الأمير الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، (٤٠/٣).

السطور التالية نبين الفرق بين كلمة السخرية وبعض تلك الألفاظ؛ وهي: الاستهزاء، واللعب، والمزاح.

الفرق بين السخرية والاستهزاء

إذا أردنا معرفة الفرق بين كلمة السخرية والاستهزاء؛ علينا أولاً أن نتعرف على مدلول الكلمتين في اللغة والاصطلاح، وقد مر بنا في السطور السابقة بيان مفهوم كلمة السخرية في اللغة والاصطلاح، وعلينا الآن معرفة كلمة الاستهزاء في اللغة والاصطلاح، ثم نبين الفرق بينها وبين كلمة السخرية.

الناظر في كتب اللغة والمعاجم يجد لفظ الاستهزاء مشتق من (هَزَأَ)، وهذا اللفظ يدور حول عدة معان؛ استعملت هذه الكلمة في لغة العرب للدلالة عليها، فهي تدور حول معنى:السخرية،الموت، والتحريك، والكسر، ولكل من هذه المعاني استعمال يخصه،(١)

فلفظ الاستهزاء قد يأتي بمعنى السخرية؛ فقد جاء في الصحاح:

" [هزأ] الهُزْءُ والهُزُؤُ: السُخْرية. تقول: هزئت منه وهزئت به، واستهزأت به، وتهزأت به، وهزأت به أيضا، هزءا ومهزأة، ورجل هُزْءةٌ بالتسكين، أي يُهْزَأُ به، وهزأة بالتحريك: يهزأ بالناس.(٢)

وتأتي بمعنى الموت كما جاء في لسان العرب: " وهَزَأَ الرجلُ: ماتَ، عَنِ ابْنِ الأَعرابي. وهَزَأَ الرجلُ إِبِلَه هَزْءاً، قَتَلَها بالبَرْدِ." (٣)

وتأتي أيضاً بمعنى التحريك، جاء في لسان العرب: " نَزَأْتُ الرّاحِلَةَ وهَزَأْتها:إِذَا حَرَّكْتَها.(٤)

وتأتي أيضاً بمعنى الكسر كما قال ابن منظور:" وهَزَأَ الشيءَ يَهْزَؤُه هَزْءاً: كَسَره."(٥)

أما تعريف الاستهزاء في الاصطلاح: فهو ارتياد الهزء من غير أن يسبق منه فعل يستهزأ به من أجله(٦).

---

(١)القرشي، أحمد بن محمد، الاستهزاء بالدين أحكامه وآثاره، السعودية، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص: ٧٠.

(٢)انظر: الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، (٨٣/١، ٨٤).

(٣)ابن منظور، لسان العرب، مادة (هزأ) (١٨٣/١).

(٤)المرجع السابق، مادة (هزأ) (١٨٣/١).

(٥)المرجع السابق، مادة (هزأ) (١٨٣/١).

(٦)المناوي،زين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، (المتوفى: ١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، القاهرة، عالمالكتب، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص ٥٠.

وبعد بيان معنى الاستهزاء في اللغة والاصطلاح نأتي لبيان الفرق بين السخرية والاستهزاء.

" فقد تغاضى بعض العلماء عن الفرق الدقيق بين السخرية والاستهزاء الذي هو ارتياد الهزء، فقيل: إن السخرية والاستهزاء معناهما واحد؛ كما أشار إلى ذلك الجوهري في الصحاح – وقد سبق بيانه - وعلى ذلك فسر كثيرون:السخرية بالاستهزاء، ولكن الواقع اللغوي وما ورد من ذلك في القرآن الكريم يشيران إلى وجود نوع من الفرق بينهما، حتى وإن كان هذا الفرق قد يتناسى أحيانا، فيستعمل أحدهما في المعنى الذي يستعمل فيه الآخر.

ويتمثل هذا الفرق في أن الهزء: إظهار الجد وإخفاء الهزل فيه؛أي أنه يكون بالقول المصحوب بسوء النية، ولا يشترط فيه أن يسبقه فعل من أجله يستهزأ بصاحبه من أجل ذلك الفعل، أما السخرية فإنها تكون بالفعل أو بالإشارة، وتكون بالقول، ويسبقها في العادة فعل من أجله يسخر بصاحبه، ويتلخص من ذلك أن بينهما فرقا من جهتين:

الأولى: السخرية تكون بالفعل وبالقول، والهزء لا يكون إلا بالقول.

الثانية: أن السخرية يسبقها عمل من أجله يسخر بصاحبه، أما الاستهزاء فلا يسبقه ذلك.[١]

ولو أمعنا النظر في التحليل الصوتي للفظتين نجد أن لفظة(سخر) اجتمع فيها صوتان مغلظان مفخمان، هما: صوت الخاء، وصوت الراء، وباجتماع هذين الصوتين تولد في هذه اللفظة شدة وقساوة وغلظة لم نجدها في اللفظة الأخرى، مما يؤكد القول السابق بأن السخرية تكون بالفعل والقول معا، بخلاف لفظة " هزئ " التي رقت جميع حروفها، فأوحت بالقول دون الفعل.[٢]

الفرق بين السخرية واللعب

المعنى اللغوي لكلمة اللعب يحمل معنين:

الأول: بمعنى المرح والسرور والغبطة والسعادة، أما المعنى الآخر؛ فهو بمعنى السخرية والاستهزاء، وهو المعنى المراد هنا، ومنه قوله تعالى:(إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ

(١)صالح بن حميد وآخرون، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الناشر، جدة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨ه – ١٩٩٨م، (٤٦٠٣/١٠)، وانظر العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، معجم الفروق اللغوية، تحقيق:الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ، (٢٧٥/١).

(٢)عدوان، جميل محمد، السخرية في القرآن الكريم وألفاظها - دراسة وصفية، مجلة الدراسات الإسلامية- جامعة الأقصى، غزة،المجلد ٨، العدد ١، يوليو ٢٠١٩، ص: ٧١.

يَلْعَبُونَ)(الأنبياء: ٢)، يعني: يستمعون لاعبين، ويقال: وهم يلعبون، يعني:يهزئون ويسخرون[١]

وقوله:(بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ) (سورة الدخان:١٩) ،يعني:إن إقرارهم غير صادر عن علم وتيقن، ولا عن جد وحقيقة: بل قول مخلوط بهزء ولعب.[٢]

واللعب: الاستهزاء،ولاعب: سلَّى،ألهى، أضحك، خدع، غش، سخر من أحد الأشخاص، وألعب: تفيد معنى السخرية والاستهزاء،واللُّعبة: الأحمق الذي يسخر به [٣]،ولعب على:احتال عليه، سَخِر منه، هزئ منه[٤].

ولعب في الدين: اتخذه سخرية [٥]،ومنه قوله تعالى: (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) (سورة الأنعام:٧٠)

والمعنى الاصطلاحي للفظة "لعب" يتفق مع المعنى الثاني لها، ويتقارب مع المعنى الاصطلاحي للفظة " سخر "، ولا داعي للتكرار هنا.

ولو أمعناالنظر في التحليل الصوتي للفظتين؛ نجد أن لفظة " لعب " توالى فيها ثلاثة أحرف شديدة: " اللام " و " العين " و " الياء "، وفي اجتماع هذه الأصوات الثلاثة المرفقة يتولد صوت يوحي بالشدة والصرامة متفقة مع لفظة " سخر " التي توحي أيضا بالشدة والقساوة والغلظة.

والفرق بين السخرية واللعب : أن في السخرية خديعة واستنقاصا لمن يسخر به، ولا يكون إلا بذي حياة،وأما اللعب فقد يكون بجماد، ولذلك أسند - سبحانه - السخرية إلى الكفار بالنسبة إلى الانبياء كقوله سبحانه:[٦]"

(وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْه مَلَأٌ مِنْ قَوْمِه سَخِرُوا مِنْهُ)(سورة هود: ٣٨)

---

(١)السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم أبو الليث، تفسير السمرقندي- بحر العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣ – ١٩٩٣م، (٤١٩/٢).

(٢)الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧ هـ، (٢٧٢/٤).

(٣)ابن منظور، لسان العرب، (٧٤١/١).

(٤)عمر، أحمد مختار، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (٦٣٨/١).

(٥)عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، (المتوفى: ١٤٢٤هـ) القاهرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م (٢٠١٤/٣).

(٦)العسكري، الفروق اللغوية، (٣٣٤/١).

الفرق بين الاستهزاء والمزاح

تعريف المزاح في اللغة فهو كالآتي:

" المَزْح: نَقيض الجِدّ، مَزَحَ يَمْزَح مَزْحاً ومُزاحاً ومازَحْتُه مُمازَحَةً ومِزاحاً وَالِاسْم المُزاح والمُزاحة،[١]المَزْحُ: الدُّعابةُ.[٢]

أما تعريف المزاح في الاصطلاح فهو:المُبَاسَطَة إِلى الغَيْرِ على جِهَةِ التَّلَطُّف والاستِعْطَافَ دونَ أَذِيَّة، حتّى يَخْرُجَ الاستهزاءُ والسُّخَرية. وَقد قَالَ الأَئمة: الإِكثارُ مِنْهُ والخُرُوجُ عَن الحدّ مُخِلٌّ بالمرُوءَةِ والوَقَارِ، والتنزُّهُ عَنهُ بالمَرَّةِ والتقبُّضُ مُخِلٌّ بالسُّنَّةِ والسِّيرةِ النَّبَوِيّة المأْمُورِ باتّباعها والاقتداءِ بها، وخيرُ الأُمور أَوْسطُها.[٣]

وبعد بيان معنى المزاح في اللغة والاصطلاح، وبيان معنى السخرية قبل ذلك نستطيع أن نبين الفرق بين السخرية والمزاح؛ وذلك " أَن المزاح لَايَقْتَضِي تحقير من يمازحه وَلَا اعْتِقَاد ذَلِك،أَلا ترى أَن التَّابِع يمازح الْمَتْبُوع من الرؤساء والملوك وَلَايقتضي ذَلِك تحقيرهم وَلَا اعْتِقَادهم تحقيرهم ولكن يَقْتَضِي الِاسْتِئْنَاس بهم على،والاستهزاء يَقْتَضِي تحقير المستهزأ بِهِ واعتقاد تحقيره.[٤]

(١)ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م،(١٥/٤).

(٢)ابن منظور، لسان العرب، (٥٩٣/٢).

(٣)الزبيدي، تاج العروس، (١١٧/٧).

(٤)العسكري، الفروق اللغوية، (٣٣٥/١).

المبحث الثاني

السخرية في مجال الدعوة في القرآن والسنة

وردت كلمة السخرية وما يرادفها من كلمات؛ في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ في مواضع كثيرة، وفي السطور التالية سنتعرض لبعض هذه المواضع بالشرح والتفصيل.

المطلب الأول

السخرية في مجال الدعوة في القرآن الكريم

وردت كلمة السخرية بمشتقاتها ست عشرة مرة في إحدى عشرة سورة من سور القرآن الكريم ، ثلاث منها مدنية وهي:البقرة،التوبة،الحجرات،وثماني مكيةوهي:الأنعام،هود،الأنبياء،الصافات،الزمر، المؤمنون،ص،الزخرف[١].

وقد جاء ذكر السخرية في استعمالات متعددة في القرآن الكريم لفظاً، ومفهوماً، وتعددت الآيات التي تذكر أنواع السخرية والاستهزاء؛كالاستهزاء والسخرية من الأشخاص ومن المعتقد والأفكار ومن الأعمال،وأغلب مواضيع السخرية في القرآن تتعلق بمجال الدعوة، ومن ذلك ما يلي:[٢]

أولاً: السخرية من الرسل عليهم الصلاة والسلام:

فمن أمثلة ذلك سخريتهم من نوح عليه السلام قال تعالى:

(وَأُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّامَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ*وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا وَلا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُغْرَقُونَ* وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِه سَخِرُوامِنْهُ قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَر مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ*)(سورة هود: ٣٦- ٣٩)

يقول العلامة ابن عاشور في معنى السخرية في هذه الآية:

" وسخريتهم- الكافرون-منه – نوح عليه السلام – حمل فعله على العبث بناء على اعتقادهم أن ما يصنعه لا يأتي بتصديق مدعاه.

---

(١)العرابيد، عبد السميع خميس، محنة السخرية والاستهزاء بالدعوة في ضوء القرآن الكريم، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين، ١٦-١٧ أبريل، ٢٠٠٥م، ص: ٤٤٩.

(٢) الحمامي وآخرون، هاشم نغيمش - منهج القرآن الكريم في التصدي لأساليب الحرب النفسية (أسلوب السخرية أنموذجا)، عمان، الأردن، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، مجلة العلوم الاجتماعية، مارس ٢٠١٧، العدد(٢٣)، ص: ٤٠ وما بعدها.

وسخرية نوح عليه السلام والمؤمنين من الكافرين ؛ من سفه عقولهم وجهلهم بالله وصفاته. فالسخريتان مقترنتان في الزمن.

وبذلك يتضح وجه التشبيه في قوله:(كماتسخرون)؛فهو تشبيه في السبب الباعث على السخرية، وإن كان بين السببيْن بَون ، ويجوز أن تجعل كاف التشبيه مفيدة معنى التعليل كالتي في قوله تعالى:(واذكروه كما هداكم) (البقرة: ١٩٨)، فيفيد التفاوت بين السخريتين، لأن السخرية المعللة أحق من الأخرى، فالكفار سخروا من نوح عليه السلام لعمل يجهلون غايته، ونوح عليه السّلام وأتباعه سخروا من الكفار لعلمهم بأنهم جاهلون في غرور.[١]

وكذلك ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى الاستهزاء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم،وبذلك فقد أظهر المشركون كفرهم بإيذائه والطعن فيه،قال تعالى:(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ)[التوبة: ٦٥-٦٦]

وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات، ما أورده الواحدي بقوله:

" قَالَ قَتَادَةُ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ نَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ إِذْ قَالُوا: يَرْجُو هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَفْتَحَ قُصُورَ الشَّامِ وَحُصُونَهَا! هَيْهَاتَ لَهُ ذَلِكَ، فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ: "احْبِسُوا عَلَيَّ الرَّكْبَ" فَأَتَاهُمْ فَقَالَ: "قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ..[٢]

ثانياً:سخرية الكافرين من المؤمنين

من ذلك قوله تعالى:(زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُم يَوْمَ الْقِيامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ)(البقرة: ٢١٢)فسخرية أساطين الكفر من الذين آمنوا لكونهم فقراء، فرد الله عليهم بعلو درجة المؤمنين لأنهم في الجنة، والكفار في النار.[٣]

---

(١)ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت، ١٩٩٧ م، (٦٧/١٢).

(٢)الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الدمام، السعودية، دار الإصلاح، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، (٢٥١/١).

(٣)الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى : ١٢٥٠ م)، فتح القدير، دمشق : دار ابن كثير، بيروت : دار الكلم العلمية، ط١، ١٤١٤ هـ، (٢٤٤/١).

وهذه السخرية مؤكدة بقوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) [المطففين:٢٩][١]

ثالثاً: سخرية المنافقين من المؤمنين

عرض القرآن الكريم صوراً عديدة لسخرية المنافقين بالمؤمنين منها قوله تعالى: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقاتِ وَالَّذِينَ لايَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُم سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُم وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ*اسْتَغْفِر لَهُم أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُم إِن تَسْتَغْفِر لَهُم سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُم ذلِك بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِه وَاللَّهُ لايَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ)(التوبة:٧٩- ٨٠)

جاء في نزول هذه الآيات: " أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم حث عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَجَاءَ عَبْدُالرَّحْمَن بْنُ عَوْف بِأَرْبَعَةِ آلاف دِرْهَم ، وَقَالَ: يَارسول اللَّه،مالي ثَمَانِيَةُ آلاف جِئْتُكَ بِنِصْفِهَا فَاجْعَلْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمْسَكْتُ نِصْفَهَا لِعِيَالِي. فَقَالَ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: بَارَك اللَّهُ لَكَ فِيمَا أَعْطَيْتَ وَفِيمَا أَمْسَكْتَ- فَبَارَكَ اللَّهُ فِي مَالِ عَبْدِالرَّحْمَنِ حَتَّى أنه خَلَّف امْرَأَتَيْن يَوْمَ مَاتَ فَبَلَغ ثُمُن مَالِهِ لَهُمَا مِائَةً وَ سِتِّينَ أَلْف دِرْهَم- وَتَصَدَّقَ يَوْمَئِذٍ عَاصِم بْن عَدِيّ بْنِ الْعَجْلَانِ بِمِائَةِ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ،وَجَاءَ أَبُوعُقَيْل الْأَنْصَارِيّ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ وَقَالَ: يَارَسُول اللَّه بِتُّ لَيْلَتِي أَجُرُّ بِالْجَرِيرِ الْمَاءَ حَتَّى نِلْت صَاعَيْنِ مِنْ تَمْرٍ،فَأَمْسَكْتُ أَحَدَهُمَالِأَهْلِي وَأَتَيْتُكَ بِالْآخَرِ ،فَأَمَرَهُ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم،أَنْ يَنْثُرَهُ فِي الصَّدَقَاتِ،فَلَمَزَ هُمُ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا: مَاأَعْطَى عَبْدُالرَّحْمَنِ وَعَاصِمٌ إِلَّا رِيَاءً،وَإِنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ غَنِيَّيْنِ عَنْ صَاعِ أَبِي عُقَيْلٍ،وَلَكِنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَذْكُرَ نَفْسَهُ. فَأَنْزَل اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.[٢]

فالمنافقون كانوا يعيبون الأغنياء من المؤمنين بأنهم ما تصدقوا إلا رياء، ويعيبون فقراء المؤمنين الذين كانوا يتصدقون بما فضل عن كفايتهم، فيستهزئون بهم لحقارة ما يخرجونه في الصدقة، مع كون ذلك غاية ما يقدرون عليه.[٣]

ويعلق الإمام القشيري على هذه الآيات بقوله:

عابوا الذين قصرت أيديهم عن الإكثار فى الصدقة وجادوا بماوصلت إليه أيديهم ، فشكر الله سعى من أخلص فى صدقته بعد ماعلم صدقه فيها. وقليل أهل الإخلاص أفضل من كثير أهل النفاق،ولمّا أوجدوا- أي سببوا لهم حفيظة وألما- المسلمين بسخريتهم

---

(١)الحمامي،منهج القرآن الكريم في التصدي لأساليب الحرب النفسية (أسلوب السخرية أنموذجا)، ص: ٤١.

(٢)الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص: ٢٦٠.

(٣)الحمامي، منهج القرآن الكريم في التصدي لأساليب الحرب النفسية (أسلوب السخرية أنموذجا)، ص: ٤١.

وصف الله- سبحانه وتعالى- نفسه بما يستحيل فى وصفه- على التحقيق- وهو السخرية بأحد.. تطبيب القلوب أوليائه،فقد تقدّس عن ذلك لعزّة ربوبيته.[١]

رابعاً:النهي عن سخرية المؤمنين من المؤمنين

نهى الله المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعضبالقول أو الفعل أو الإشارة، فقال سبحانه:(ياأَيُّهَاالَّذِين آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلانِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْيَكُنّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلاتَلْمِزُوا أَنْفُسَكُم وَلاتَنابَزُوا بِالْأَلْقاب بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ وَمَن لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [الحجرات آية: ١١].وفي هذه السخرية المنهي عنها قولان:

أحدهما:أنه استهزاء الغني بالفقير إذا سأله. الثاني :أنه استهزاءالمسلم بمن أعلن فسقه، ويحتمل ثالثاً:أنه استهزاء الدهاة بأهل السلامة.[٢]

قال العلامة السعدي – رحمه الله-[٣]: من حقوق المؤمنين، بعضهم على بعض، أن" **نهى** لا يسخر قوم من قوم" بكل كلام، وقول، وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام، لا يجوز، وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه، وعسى أن يكون المسخور به خيرًا من الساخر، كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية، لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متحل بكل خلق ذميم، ولهذا قال النبي ﷺ«بحسب امرئ من الشر، أن يحقر أخاه المسلم» [٤].

خامساً:الاستهزاء بالدين

قال تعالى:(يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا لَاتَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُم وَالْكُفَّار أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ*وَإِذَا نَادَيْتُم إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَايَعْقِلُونَ)(المائدة: ٥٧- ٥٨)

ومعنى الآيات: " يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وكذا المشركين. لاتتخذوهم أولياء أبدا فإنهم يودون عنتكم ومشقتكم ،وقد بدت البغضاء من أفواههم،وماتخفى صدورهم أكبر ،بعضهم أولياء بعض ،مع أن

---

(١)القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، د.ت، (٤٩/٢).

(٢)الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تفسير الماوردى - النكت والعيون، بيروت/لبنان، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، (٣٣١/٥).

(٣) انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م (ص: ٨٠١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة، بابتحريمظلمالمسلم،وخذله، ..(١٩٨٦/٤) رقم (٢٥٦٤).

موالاتهم تغضب الله ورسوله ؛وهم الذين اتخذوا دينكم ومشاعره هزؤا وسخرية ،ومظهرا من مظاهر اللعب والضحك ولاشيء أشق على النفس من استهزاء المعاند له وسخريته به وبرأيه وشعاره ،واتقوا الله أيها الناس واخشوا عذابه ووعيده على الموالاة إن كنتم مؤمنين.

كرر الله نهى المؤمنين عن موالاة أعدائهم من الكفار تنفيرا لهم عنها، وتسجيلاعلى الكفار فعلهم.

وبعد أن أثبت الله استهزاءهم بالدين على وجه العموم (وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِم قالُوا إِنَّامَعَكُم إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ) [(١)] ؛سجل عليهم استهزاءهم بنوع خاص هوعمادالدين وأساسه: هوالصلاة.

وإذا ناديتم إلى الصلاة بالأذان والإقامة اتخذوا هذه المناداة والصلاة هزؤا ولعبا، ما ذلك الاستهجان القبيح إلا لأنهم قوم لاعقل لهم يرشدهم ولا رأى يهديهم بل هم في ضلالهم يعمهون.[(٢)]

سادساً:الهزء والسخرية من آيات الله تعالى [(٣)]

ذكر الله عز وجل في مواضع عديدة في القرآن الكريم استهزاء الكافرين بآيات الله تعالى، وتوعدهم بالعذاب جزاء ذلك، كقوله تعالى:

(وَإِذَاعَلِمَ مِن آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) (سورة الجاثية الآية: ٩)

وقوله تعالى (وَقِيلَ الْيَوْم نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُم النَّارُوَمَا لَكُم مِن نَاصِرِينَ (٣٤) ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُم آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) [الجاثية: ٣٤-٣٥]

وقد حذر الله تعالى عباده المؤمنين من مجالسة المستهزئين في قوله تعالى:

(وَقَد نَزَّل عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَر بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ انَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِين وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا)(سورة النساء: ١٤٠)

وواضح من جميع الآيات السابقة أن اللهتوعد الساخرين والمستهزئين بالعقوبة كما في قوله تعالى:

(وَيْل لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ*الَّذِي جَمَعَ مالًا وَعَدَّدَهُ*يَحْسَبُ أَنَّ مالَه أَخْلَدَهُ*كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) (سورة الهمزة: ١- ٤)

---

(١)سورة البقرة آية ١٤.

(٢)الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، بيروت، دار الجيل الجديد، ط١٠، ١٤١٣ هـ (٥٢٩/١).

(٣)الحمامي، منهج القرآن الكريم في التصدي لأساليب الحرب النفسية (أسلوب السخرية أنموذجا)، ص: ٤٢.

وقوله تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّاكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)[الأنعام: ٣- ٥]

المطلب الثاني

السخرية في مجال الدعوة في السنة النبوية

نهى النبي ﷺ - في أحاديث كثيرة- عن السخرية من الآخرين سواء بالقول أو بالفعل أو عن طريق محاكاتهم وتقليدهم،وعدَّ ذلك من كبائر الذنوب، ومانعاً من دخول الجنة، وأرشد في نصائح دعوية إلى البعد عنها والحذر من مصير أصحابها، وفي السطور التالية نتعرض لبعض هذه الأحاديث.

أولاً: التحذير من محاكاة الناس وتقليدهم استهزاءً بهم

فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من تقليد الناس ومحاكاتهم على جهة السخرية والاستهزاء بهم والتنقيص منهم؛ وهذا ما بينه حديث عائشة رضي الله عنها، " فعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ: حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّﷺ رَجُلًا فَقَالَ: مَايَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا وَأَنّ لِي كَذَا وَكَذَا ،قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللَّهِ إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ ،وَقَالَت بِيَدِهَا هَكَذَا كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً ، فَقَالَ: «لَقَدْ مَزَجْت بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ البَحْر لَمُزِجَ".[(١)]

فالسيدة عائشة تحدث أنها أخبرت النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنها قلدت إنساناً في هيئة أوصفة؛تقبيحاً له، فأخبرها النبي ﷺ ونصحها، أنه لايحب تقليد الناس ومحاكاتهم على جهة الاستهزاء والسخرية، ولو نال على ذلك الكثير والكثير من متاع الدنيا، ثم بين لها النبي ﷺ خطورة هذا العمل فقال: (لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ البَحْرِ لَمُزِجَ) والمعنى:

" أَنَّ هَذِهِ الْغِيبَةَ لَوْ كَانَتْ مِمَّا يُمْزَجُ بِالْبَحْرِ لَغَيَّرَتْهُ عَنْ حَالِهِ مَعَ كَثْرَتِهِ وَغَزَارَتِهِ فَكَيْفَ بِأَعْمَالٍ نَزِرَةٍ خلطت بها" [(٢)]

قال المنذري عن هذا المعنى: الحكاية حرام إذا كانت على سبيل السخرية والاستهزاء والاحتقار لما فيها من العجب بالنفس والاحتقار للخلق، والأذية لهم، وهذا فيما لا كسب فيه من خلق الله عز وجل، فإذا كان مما يكسبون، فإن كان في معصية

---

(١)أخرجه، أحمد في مسنده (٢٤٩٦٤، ٢٥٥٦٠)، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في الغيبة (٢٦٩/٤، رقم ٤٨٧٥)، والترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، (٦٦٠/٤، رقم ٢٥٠٢)وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢)المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم(المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، (١٧٧/٧).

جازت حكايتهم على طريق الزجر فيما لا يذهب بالوقار والحشمة، وإن كانت في الطاعة جازت الحكاية فيه إلا أن يتوب العاصي، فلا يجوز ذكر المعصية له.[١]

ثانياً:السخرية من كبائر الذنوب

تعد السخرية من كبائر الذنوب، كما أخبر بذلك ابن عمر – رضي الله عنه-

فعَنْ طَيْسَلَةَ بْنِ مَيَّاسٍ قال: كُنْتُ مَعَ النَّجَدَاتِ[٢] فَأَصَبْتُ ذُنُوبًا لاَ أَرَاهَا إِلاَّ مِنَ الْكَبَائِرِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِابْنِ عُمَرَ، قَالَ: مَا هِيَ؟ قُلْتُ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ مِنَ الْكَبَائِرِ، هُنَّ تِسْعٌ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ نَسَمَةٍ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَإِلْحَادٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَالَّذِي يَسْتَسْخِرُ[٣]،[٤]

والناظر في هذا الحديث يتضح له أن الذي يستسخر؛ أي يؤذي الناس بالسخرية والاستهزاء منهم؛ يعد مرتكباً لكبيرة من الكبائر، ولشدة هذه الكبيرة – وهي السخرية – قرنت بغيرها من الكبائر العظام، مثل؛ مثل: الشرك بالله والقتل، وأكل الربا.

ثالثاً: السخرية من الكِبْر الذي يمنع دخول الجنة

أخبر النبيﷺ أن احتقار الناس والسخرية منهم، والاستهزاء بهم؛ من الكبر الذي يمنع صاحبه من دخول الجنة،فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ – رضي الله عنه -،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " لَايَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَن كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ.

قَال رَجُلٌ: إِنّ الرَّجُلَ يُحِبّ أَنْ يَكُون ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً،قَالَ: إِنَّاللهَ جَمِيلٌ يُحِبّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطَر الْحَقِّ،وَغَمْطُ النَّاسِ" [٥]

ومعنى غمط الناس في هذا الحديث: " احتقارهم وذلك ناشئ عن عجبا لإنسان بنفسه ، وتعاظمه عليهم،فالعجب بالنفس يحمل على التكبرعلى الخلق،واحتقارهم والاستهزاء بهم،وتنقيصهم بقوله وفعله.

ولماقال هذا الرجل: «إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَن يَكُون ثَوْبُهُ حَسَنًا ونعله حسنا»وخشي أن يكون هذا من الكبر الذي جاء فيه الوعيد: بين له النبي صلى الله عليه وسلم :

أن هذا ليس من الكبر ، إذا كان صاحبه منقادا للحق ،متواضعا للخلق ،وأنه من الجمال الذي يحبه الله :

---

(١)هامش مختصر المنذري (٢١٢/٧ – ٢١٣).

(٢) النجدات: وهم فِرقةٌ مِن الخوارجِ أصحابُ نَجْدَةَ بنِ عامرٍ الحنفيِّ الخارجيِّ.

(٣)الاستسخار من السخرية.

(٤)أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" حديث رقم- (٨). باب لين الكلام لوالديه (٧/١)، وفيه طيسلة بن علي، ويقال: ابن مياس، وثقه يحيى، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وروى عنه غير واحد، وإسناد الحديث حسن.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٩٣/١) حيث رقم (٩١).

فإنه تعالى جميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ،يحب الجمال الظاهري والجمال الباطني.

فالجمال الظاهر: كالنظافة في الجسد، والملبس، والمسكن، وتوابع ذلك.

والجمال الباطن: التجمل بمعاني الأخلاق ومحاسنها.[١]

رابعاً: السخرية من المسلم من أعظم الشرور

أخبر النبي ﷺ أن السخرية من المسلم والاستهزاء به واحتقاره من أعظم الشرور؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه -قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ:

«لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا،ولا تدابروا، ولايبع بعضكم على بيع بعض،وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم،لايظلمه ولايخذله، ولايحقره التقوى هاهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم،كل المسلم على المسلم حرام،دمه،وماله،وعرضه».[٢]

ومعنى:"(بحسب امْرِئ من الشَّرّ) أَيي كْفِيه مِنْهُ فِي أخلاقه ومعاده (أَن يحتقر أَخَاهُ الْمُسلم) أَي يذله ويزد ربه وَلَايعبأ بِهِ؛لِأَن الله أحسن تقويمه ،وسخر لَهُمَافِي السَّمَوَات وَالْأَرْض وَسَماهُ مُسلما ومؤمناًو عبدا فاحتقاره احتقار لماعظمه الله وشرفه[٣].

خامساً: السخرية من المسلمين من صفات الجاهلية.

عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّبِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: " يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ" [٤]

---

(١)آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، المملكة العربية السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - ط٤، ١٤٢٣هـ، (١٤٧/١)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، ..(١٩٨٦/٤) رقم (٢٥٦٤).

(٣)المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، التيسير بشرح الجامع الصغير، الرياض، مكتبة الإمام الشافعي، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (٢١٠/٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، (١٥/١) حديث رقم (٣٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، (١٢٨٢/٣) حديث رقم (١٦٦١).

عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ،أَنَّ رَجُلًا قَعَد وَسْطَ الْحَلْقَةِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ – رضي الله عنه-:مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّد ﷺ أَوْ «لَعَنَ اللَّه عَلَى لِسَان مُحَمَّدٍﷺ مَنْقَعَد وَسْطَ الْحَلْقَةِ».(١)

وهذا الحديث يعتبر من أعظم الزواجر عن السخرية والاستهزاء؛ وقد بين الإمام الصنعاني السبب في أن الجالس وسط الحلقة ملعون فقال: " لأنه إذا جلس في وسطها استدبر بعضهم فيؤذيهم بذلك فيلعنونه ويسبونه، وفي الشرح أراد الذي يقيم نفسه مقام السخرية ويقعد وسط القوم ليضحكهم أو الكلام في معين".(٢)

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٨/٥)، والترمذي في سننه: أبواب الأدب، باب ما جاء في كراهية القعود وسط الحلقة، (٣٨٧/٤) حديث رقم (٢٧٥٣) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) انظر: الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِير، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، (٦١/٩).

المبحث الثالث

صور السخرية وأسبابها

المطلب الأول

صور السخرية

بعد أن بينا في الصفحات السابقة مواضع السخرية في القرآن الكريم والسنة النبوية، نبين في السطور التالية؛ بعض صور السخرية؛ وهذه الصور: الهمز واللمز، والتنابز بالألقاب، والتهكم والتعيير.

أولاً:الهمز واللمز

من صور السخرية والاستهزاء؛ الهمز واللمز، ومعنى الهمز واللمز: " الهمزة: هوالذي يهمز الناس،أي يؤذيهم بقوارص الكلم جهرة ،فيخدش حياءهم ، ويمتهن كرامتهم ، ليزداد علوّا وتطاولا على الناس،ولتخفّ موازينهم إزاء ميزانه، فلا يرتفع أمامه رأس، ولايشمخ أنف.

واللمزة:هوالذي ينقص من أقدار ذوى الأقدار، فنغير مواجهتهم ،إذ كان لايستطيع أن يلقاهم وجها لوجه ؛فيشيع الفاحشة فيهم،ويذيع قالة السوءعنهم.

فالهمز واللّمز غايتهما واحدة، وهى الحطّ من أقدار الناس، ومحاولة إنزالهم منازل الدّون فى الحياة.. وإن كان الهمز بأسلوب العلانية ،واللمز بأسلوب السرّ و الخفاء.. ومن كان من شأنه الهمز كان من شأنه اللمز كذلك، والعكس صحيح.. إذهما ينبعان من طبيعة واحدة.[1]

وقيل في معناهما أيضاً: " أن «الهمزة»:هومن يعيب في الآخرين عيباً خفياً ويسخر منهم خفية، ويكون ذلك بإشارة من عينهأ وبأي حركة من جوارحه، ومثال هذا: حين تكون هناك مجموعة من الناس جالسين ،ويحاول أحدهم النَّيْل من أحد الحضور خفية ،فيغمز بطرف عينه لإنسان آخر،أويكون باللسان هَمْساً في أذن إنسان أو بأي طريقة أخرى ،المهم أن يُشَارإلى العيب بطريقة خفية لا يلحظهامعظم الحاضرين.

أما اللُّمَزة العيَّابون في غيرهم في حضورهم. فهناك القوي الذي يكشف العيوبَ بشجاعة وصراحة وهو اللَّماز،أما الضعيف فهو يعيب خفية وهو الهمَّاز. واللمزة تطلق على من يعيب كثيراً في الناس .وهمزة لمزة ،من صيغة المبالغة «فُعَلَة» وتدل على كثرة فعل الشيء. فتقول«فلان أكَلة» - بضمةعلى الألف - أي: يأكل كثيراً. وفلانضُحَكة – بضمةعلى الضاد - أي: كثير الضحك.

---

(١)الخطيب، عبد الكريم يونس (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، التفسير القرآني للقرآن، القاهرة، : دار الفكر العربي،د.ط، د.ت (١٦٧٠/١٦).

إذن: فاللّمزة هي كثرة العيب في الغير،وهي تدل على ضعف من يقول بها، ولولم يكن ضعيفا لقال ما يريد بصراحة." (١)

ويمكن أن نقول عن حقيقة اللمز أن " اللمز هو أن يعيب الإنسان أخاه في وجهه بكلام ولو خفي، ورب لمز خفي هو أشد من طعن صريح، وأعمق جرحاً في داخل النفس، لأن فيه بالإضافة إلى الطعن والتجريح بالعيب معنى استغباء الملموز واستغفاله، فكأن اللامز يشعر الذين في المجلس أن الملموز غبي لا يتنبه إلى الطعن الذي يوجه ضده في رمز الكلام." (٢)

وقد توعد الله تعالى الذين يسخرون من الناس ويعيبون عليهم بالهمز واللمز بعذاب شديد يوم القيامة؛ فقال تعالى:(وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) [الهمزة: ١]فقد جاء في تفسير هذه الآية: " الهمزة هو الذي يسخر من الناس ولو بالإشارة ؛ يرى إنسانا مصابا بعاهة في قدمه ، يمشي وهو يعرج فيحاول أن يقلده بطريقة تثير السخرية ،إما بالإشارة وإما بالكلام ،وهناك همز، وهمزه ؛ الهمز: الاستهزاء والسخرية من الناس،علامة عدم الإيمان ،لأننا كلنا مخلوقون من إله واحد، فهذه الصفة التي سخرت فيها من إنسان أعرج مثلا،لاعمل له فيها ،ولاحول له ولاقوة ؛والإنسان لم يصنع نفسه، والحقيقة أنك تسخر من صنع الله،والذي يسخر من خلق الله إنسان غبي لأنه سخر من خلق الله في عيب،ولم يقدر ما تفضل الله به عليه،كماأنه سخر من عيب ولم يفطن إلى أن الحق سبحانه وتعالى قد أعطى ذلك الإنسان خصالا ومميزات ربما لم يعطها له، والله سبحانه وتعالى يقول: (يا أيهاالذين آمَنُواْ لاَيَسْخَرْ قَوْم مِّن قَوْمٍ عسى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ) [الحجرات: ١١].

إن مجموع كل إنسان ،يساوي مجموع كل إنسان آخر،وذلك هو عدل الله،فإذا كنت أحسن من إنسان في شيء فابحث عن النقص فيك. فإن استهزأت بمؤمن في شيء،فالاستهزاء غير مفصول عن صنعة الله.(٣)

ويشير العلامة ابن عاشور في تفسيره إلى أن الهمز واللمز من صفات أهل الشرك؛ فيقول:

" وهذان الوصفان من معاملة أهل الشرك للمؤمنين يومئذ ،ومَن عامَل من المسلمين أحداً من أهل دينه بمثل ذلك كان له نصيب من هذا الوعيد ،فمن اتصف بشيء من هذا الخُلق الذميم من المسلمين مع أهل دينه فإنهاخصلة من خصال أهل الشرك .وهي ذميمة تدخل في أذى المسلم وله مراتب كثيرة بحسب قوة الأذى وتكرره ولم يُعد من

---

(١)الشعراوي، محمد متولي(المتوفى: ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي – الخواطر، القاهرة، مطابع أخبار اليوم، (٥٢١٠/٩).

(٢)حبنكة، عبد الرحمن، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، ط٥، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ص: ٢٣٦- ٢٣٧.

(٣)الشعراوي ، تفسير الشعراوي،(١٦١/١).

الكبائر إلا ضربُ المسلم .وسبُّ الصحابة رضي الله عنهم وإدمان هذا الأذى بأن يتخذه ديدناً فهو راجع إلى إدمان الصغائر وهومعدود من الكبائر"[١]

وعن أثر الهمز واللمز على الفرد والمجتمع يقول الدكتور عبد الرحمن حبنكة:

" واللمز قبيحة اجتماعية تورث الأحقاد والأضغان، وتقطع أواصر الأخوة الإيمانية، وهو ظلم من الإنسان لأخيه الإنسان، وعدوان على حقه عليه،ومن حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يستر عيوبه، وإذا كان العيب نقيصة إرادية فدور المؤمن أن يكون ناصحاً في السر لأخيه، لا فاضحاً له ولا ناشراً لعيوبه، لا بصريح اللفظ ولا برمزه ومعاريضه ودلالاته المغلفة؛ وكم يقع في مجالس الناس هذا اللمز، وكم يؤذي الناس بعضهم به، وكم يولد فيهم أحقاداً ورغبات انتقام، وكم يثير بينهم غضباً وعداوات. من أجل ذلك نهى الله عنه نهي تحريم، واعتبر ارتكابه من الفسوق، وجعلالإصرار عليه وعدم التوبة منه ظلماً، فقال تعالى في آخر الآية:(بِئْسَالِاسْمُالْفُسُوقُبَعْدَالْإِيمانِ) أي: بئس أن يرتكبوا عملاً يطلق عليهم بسببه اسم الفسوق، بعد أن تحلوا باسم الإيمان الذي هو أشرف الأسماء وأكملها بالنسبة إليهم. وفي النهي عن اللمز قال الله تعالى: (وَلاتَلْمِزُواأَنْفُسَكُمْ)

ونتساءل هنا فنقول: لم لم يقل: ولا يلمز بعضكم بعضاً، وإنما قال: ولا تلمزوا أنفسكم ؟ ويمكن أن نجيب بأمرين: الأول: لما كان المجتمع الإسلامي في مفهوم الإسلام بمثابة الجسد الواحد، كان من يلمز أخاه المسلم بمثابة من يلمز نفسه.

الثاني: من يلمز غيره يعرض نفسه للانتقام منه باللمز، فهو إذ يلمز الناس يتسبب في أن يلمزوه، فكأنه لمز نفسه. واقتصر النص على هذه الجملة في أداء هذين المعنيين ضمن ما نهى عنه من السخرية والتنابز بالألقاب والغيبة، ليقاس الباقي عليها، ولتؤدي كل جملة نهت عن أمر معنى يصلح لأن يعمم على الجميع عن طريق القياس، ويستغنى بهذا عن تكرير كل فكرة مع كل منهي عنه.[٢]

ثانياً:التنابز بالألقاب

من صور السخرية؛ التنابز بالألقاب، ومعناه: " التداعى بها، بمعنى: أن يلقّب بعضهم بعضا، وكثر فيما كان ذمّا، والنّبز بالتحريك: اللّقب، والنّبزبالتسكين:المصدر، وقد ورد فى القرآن الكريم بصيغة النهي عنه مرة واحدة، وذلك فى قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (سورة الحجرات: ١١)

(١)ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت، ١٩٩٧ م، (٥٣٦/٣٠).

(٢)حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص: ٢٣٧.

ويلاحظ: أن النهى عن ذلك فى الآية الكريمة، ورد ضمن النهى عن بعض الأمور التى تتضمنها منظومة الآداب الإسلامية، فقد نهت الآية عن سخرية المؤمن بالمؤمن، ثم نهت- ثانيا- أن يعيب المؤمن مؤمنا ويطعن فيه بلسانه، كما نهت- ثالثا- عن أن يدعو الإنسان أخاه المؤمن بلقب لا يحبه؛ لكونه ذمّا له، أو مشعرا بذلك.(١)

قال النووى: اتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره، سواء كان صفة له، أو لأبيه، أو لأمه، أو غيرهما (٢)

ومن التشديد فى تحريم ذلك فى الإسلام، أن الآية جعلت التنابز بالألقاب فسقا يرتكبه الإنسان، كما هددت من لم يكف عنه، ويتب منه بوصفه بالظالم.

ولكن يستثنى من ذلك التحريم من غلب عليه الاستعمال كالأعرج، والأحدب، ولم يقصد به الذم، أو التعيير، ولا يجد من ذلك صاحبه حرجا، حيث جوّزته الأمة، واتفق على فعله أهل الملة.

وعلى هذا المعنى ترجم البخارى- رحمه الله- فى كتاب «الأدب» من صحيحه، باب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم: الطويل، والقصير، وقال النبى صلّى الله عليه وسلّم: «ما يقول ذو اليدين»؟ وما لا يراد به شين الرجل.(٣)

يقول ابن حجر صاحب (فتح البارى):

" هذه الترجمة معقودة لبيان حكم الألقاب وما لا يعجب الرجل أن يوصف به مما هو فيه، وحاصله: أن اللقب إن كان ما يعجب الملقّب ولا إطراء فيه، مما يدخل فى نهى الشرع، فهو جائز أو مستحب، وإن كان مما لا يعجبه فهو حرام أو مكروه، إلا إن تعين طريقا إلى التعريف به، حيث يشتهر به ولا يتميز عن غيره إلا بذكره ".(٤)

وعلى هذا: يمنع الإسلام من تلقيب الإنسان بما يكره، وجوز تلقيبه بما يحب.

وقد لقب النبى صلّى الله عليه وسلّم عمر بالفاروق، وأبا بكر بالصديق، وعثمان بذى النورين، وخزيمة بذى الشهادتين.. إلخ.(٥)

---

(١) مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ص: ٧٣٦.

(٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق : هشام سمير البخاري، المملكة العربية السعودية دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣ م، (٣٢٩/١٦).

(٣) الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص: ٧٣٦.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٣٧٩، (٤٦٨/١٠).

(٥) الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص: ٧٣٦.

وقد نهى الله تعالى عن التنابز بالألقاب بقوله: (وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) وسبب نزول هذه الآية كما يقول النيسابوري[1]، وأخرجه الترمذي في سننه عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَبِي جَبِيرَةَ بْنِ الضَّحَّاكِ قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة، فيدعى ببعضها فعسى أن يكره، قال: فنزلت هذه الآية: {ولا تنابزوا بالألقاب}[2].

فدلت الآية على أن من السخرية واللمز التنابز بالألقاب التي يكرهها أصحابها، ويحسون فيها سخرية وعيباً، ومن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه أخوه بلقب يكرهه، وألا يؤذيه بمثل هذا؛ وقد غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسماءً وألقاباً كانت في الجاهلية لأصحابها، أحس فيها بحسه المرهف، وقلبه الكريم، بما يزري بأصحابها، أو يصفهم بوصف ذميم. والآية - بعد الإحياء بالقيم الحقيقية في ميزان الله، وبعد استجاشة شعور الأخوة، بل شعور الاندماج في نفس واحدة، - تستثير معنى الإيمان، وتحذر المؤمنين من فقدان هذا الوصف الكريم، والفسوق عنه والانحراف بالسخرية واللمز والتنابز: (بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ). فهو شيء يشبه الارتداد عن الإيمان! وتهدد باعتبار هذا ظلماً، والظلم أحد التعبيرات عن الشرك: (وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)، وبذلك تضع قواعد الأدب النفسي لذلك المجتمع الفاضل الكريم.[3]

ويشير العلامة حبنكة الميداني إلى أثر التنابز بالألقاب على الفرد والمجتمع؛ فيقول:

" ولما كان التنابز بالألقاب التي من هذا القبيل مما يؤذي الناس، إذ يحمل معنى التحقير والإهانة، نهى الله عنه، وجعله من المحرمات، وجعله من الفسوق ومن الظلم. وربما يصل التنابز بالألقاب إلى مستوى الشتيمة، كالنبز بالحمار والثور والكلب ونحو ذلك. ومن شأن التنابز بالألقاب أنه يقطع أواصر الأخوة الإيمانية، ويفسد المودات ويولد العداوات والأحقاد، وربا يوصل إلى التقاتل مع ثوران الغضب وهيجان الحماقات.

وتنفيراً من هذه القبائح الاجتماعية (السخرية ـ واللمز ـ والتنابز بالألقاب) أبان الله أن من يتصف بها من المؤمنين يحمل وصف الفسوق بعد وصف الإيمان، وبئس هذا الوصف، فقال تعالى: (بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

إن من آمن فحمل وصف الإيمان الشريف؛ من القبيح به جداً أن يدنس نفسه بوصف الفسوق بعد ذلك، إنه هبوط قبيح بعد ارتقاء جميل، وتسفل دنيء بعد اعتلاء قمة مجد عالية، وتدنيس فاحش لأكرم رداء هو رداء الإيمان.

---

(١) النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية ط١، ١٤١١ هـ، ص: ٤١٠.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب التفسير، باب ومن سورة الحجرات، (٢٤١/٥) حديث رقم : (٣٢٦٨) وقال: حسن صحيح.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط١٥، ١٩٨٨م، (٣٣٤٤/٦).

ولـما كانت هذه القبائح التي تقذف مرتكبيها إلى دركة الفسوق تدخل في دائرة ظلم الإنسان لأخيه، قال تعالى: « ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ». ظالمون لإخوانهم بالعدوان عليهم، وظالمون لأنفسهم بتعريضها لعقاب الله في جزائه العادل.(١)

ثالثاً: التهكم والتعيير

قال الكفوي في معنى التهكم: هو ما كان ظاهره جدا وباطنه هزلا، والهزل الذي يراد به الجد بالعكس ولا تخلو ألفاظ التهكم من لفظة من اللفظ الدال على نوع من أنواع الذم، أو لفظة من معناها الهجو.(٢)

ومن ثمّ كان التّهكّم من السّخرية، أمّا التّعيير بالفقر أو الذّنب أو العلّة أو ما شابه ذلك فقد نصّوا على أنّه من السّخرية، يقول الإمام الطّبريّ: " عمّ الله بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السّخرية، فلا يحلّ لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك" (٣)

ومعنى التعيير: أن يريد الإنسان ذم رجل وتنقصه وإظهار عيبه لينفر الناس عنه؛ إما محبة لإيذائه أو لعداوته أو مخافة من مزاحمته على مال أو رئاسة أو غير ذلك من الأسباب المذمومة، فلا يتوصل إلى ذلك إلا بإظهار الطعن فيه بسبب.(٤)

وقد نهى النبي ﷺ عن أن يعير المسلم أخاه المسلم في أكثر من حديث منها ما رواه ابْنِ عُمَرَ حيث قَالَ:

" صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ

(١) حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص: ٢٣٨.
(٢) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، كتاب الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، (٨٧/٢).
(٣) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، (٢٦ ٨٣).
(٤) ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، الفرق بين النصيحة والتعيير، عمان، دار عمارط٢، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، ص: ٢٥.

يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ، قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ." (١)

ومعنى (وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ): " مِنَ التَّعْيِيرِ وَهُوَ التَّوْبِيخُ وَالتَّعْيِيبُ عَلَى ذَنْبٍ سَبَقَ لَهُمْ مِنْ قَدِيمِ الْعَهْدِ سَوَاءٌ عُلِمَ تَوْبَتُهُمْ مِنْهُ أَمْ لَا؛ وَأَمَّا التَّعْيِيرُ فِي حَالِ الْمُبَاشَرَةِ أَوْ بُعَيْدَهُ قَبْلَ ظُهُورِ التَّوْبَةِ فَوَاجِبٌ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ."(٢)

وتعيير المسلم أخاه المسلم يعتبر من صفات أهل الجاهلية، وهذا واضح في حديث أبي ذر الغفاري عندما عير رجلاً بأمه؛ فنهاه النبي ﷺ عن ذلك، وبين له أن هذا التعيير من أخلاق الجاهلية المذمومة؛ فعَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ:

" مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ " (٣)

فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر: (إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ): " أَيْ هَذَا التَّعْيِيرُ مِنْ أَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَفِيكَ خُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ. وَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ. فَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ التَّعْيِيرِ، وَتَنْقِيصِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَأَنَّهُ مِنْ أَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ(٤)

وقد نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن تعيير المسلم أخاه المسلم فقال ﷺ: " مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ مَنْ عَابَهُ بِهِ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ".(٥)

وَكَأَنَّ مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ أَيْ عَابَهُ مِنَ الْعَارِ، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ لَزِمَ بِهِ عَيْبٌ؛ يُجَازَى بِسَلْبِ التَّوْفِيقِ حَتَّى يَرْتَكِبَ مَا عَيَّرَ أَخَاهُ بِهِ وَذَاكَ إِذَا صَحِبَهُ إِعْجَابُهُ بِنَفْسِهِ بِسَلَامَتِهِ مِمَّا

---

(١) اخرجه الترمذي في سننه: أبواب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، (٣٧٨/٤) (٢٠٣٢)، وقال: حسن غريب وصحح إسناده الزيلعي في (تخريج الكشاف) (٣٤٤/٣)، وحسنه ابن حجر في (تخريج مشكاة المصابيح) (٤٥١/٤).

(٢) المباركفورى، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، د.ت، (١٥٢/٦).

(٣) اخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، انظر: فتح الباري، حديث رقم (٣٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، حديث رقم (١٦٦١)

(٤) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢، (١٣٢/١١).

(٥) - سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والورع،برقم : ٢٤٢٩، وقال الترمذي: هذا حديث غريب وليس إسناده بمتصل، وحسنه الأرناؤوط في جامع الأصول (٧٤٢/١١).

عَيَّرَ بِهِ أَخَاهُ. وَفِي الحديث: أَنَّ ذِكْرَ الذَّنْبِ لِمُجَرَّدِ التَّعْيِيرِ قَبِيحٌ يُوجِبُ الْعُقُوبَةَ وَأَنَّهُ لَا يَذْكُرُ عَيْبَ الْغَيْرِ إلَّا لضرورة شرعية. (١)

وقال الحسن: كان يُقال: مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ تَابَ مِنْهُ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَبْتَلِيهُ اللهُ بِهِ.

وقد رُوي هذا المعنى جماعة من السَّلف.

ولمَّا ركب ابنَ سيرين الدَّيْنُ وحُبس به قال: إني أعرف الذنبَ الَّذِي أصابني هذا، عيَّرت رجلاً منذ أربعين سنة فقلت له: يا مُفلس.(٢)

ومن صور التعيير؛ إظهارُ السوء وإشاعتُه في قالب النصح؛ فيكون نصحاً في الظاهر، وتعييراً في الباطن، وقد بين هذه الصورة العلامة ابن رجب الحنبلي في رسالته (الفرق بين النصيحة والتعيير) فيقول:

" ومِن أظهرِ التعيير: إظهارُ السوء وإشاعتُه في قالب النصح وزعمُ أنه إنما يحمله على ذلك العيوب إما عاماً أو خاصاً وكان في الباطن إنما غرضه التعيير والأذى فهو من إخوان المنافقين الذين ذمهم الله في كتابه في مواضع فإن الله تعالى ذم من أظهر فعلاً أو قولاً حسناً وأراد به التوصل إلى غرض فاسد يقصده في الباطن وعدَّ ذلك من خصال النفاق كما في سورة براءة التي هتك فيها المنافقين وفضحهم بأوصافهم الخبيثة: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [التوبة: ١٠٧] (التوبة: ١٠٧).

وقال تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: ١٨٨] (آل عمران: ١٨٨)، وهذه الآية نزلت في اليهود لما سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك عليه وفرحوا بما أتوا من كتمانه وما سألهم عنه.

فهذه الخصال خصال اليهود والمنافقين وهو أن يظهر الإنسان في الظاهر قولاً أو فعلاً وهو في الصورة التي ظهر عليها حسن ومقصوده بذلك التوصل إلى غرض فاسد فيحمده على ما أظهر من ذلك الحسن ويتوصل هو به إلى غرضه الفاسد الذي هو

---

(١) الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، سبل السلام، القاهرة، دار الحديث، د.ط، د.ت، (٦٨٣/٢).

(٢) ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، القاهرة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م، (٤١٣/٢).

أبطنه ويفرح هو بحمده على ذلك الذي أظهر أنه حسن وفي الباطن شيء وعلى توصله في الباطن إلى غرضه السيء فتتم له الفائدة وتُنَفَّذُ له الحيلة بهذا الخداع.
ومن كانت هذه همته فهو داخل في هذه الآية ولا بد فهو متوعد بالعذاب الأليم.[١]

المطلب الثاني

أسباب ودوافع السخرية

إذا بحثنا في دوافع الإنسان إلى السخرية، وجدناها ترجع إلى أسباب كثيرة، فقد يدفعه حسده على غيره إلى الاستهزاء بالمحسود والسخرية منه؛ بسبب ما أنعم الله عليه به من بعض الفضائل، وقد يدفع الإنسان إلى السخرية بغيره حقده الشديد عليه واضمار الشر له، وقد يدفعه إلى الاستهزاء بغيره جهله بما نهى الله ورسوله عنه من السخرية والاستهزاء بالآخرين، وقد يدفعه إلى احتقار غيرهالرغبة بالتسلية والضحك على الآخرين، وكذلك ضعف عقله، وغير ذلك من الأسباب، وفي السطور التالية سنتحدث عن بعض هذه الأسباب باختصار.

أولاً:الحسد

من الأسباب التي تدفع الإنسان إلى السخرية من غيره؛ الحسد، وحقيقة الحسد:

هو التألّم بما يراه الإنسان لغيره وما يجده فيه من الفضائل، والاجتهاد في إعدام ذلك الغير ما هو له، وهو خلق مكروه وقبيح بكلّ أحد [٢]

ويشير الإمام الغزالي إلى تعريف الحسد والفرق بينه وبين الغبطة فيقول:

" اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة، فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان: إحداهما: أن تكره تلك النعمة، وتحب زوالها، وهذه الحالة تسمى حسداً، فالحسد حده: كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه.

الثانية: أن لا تُحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها؛وهذه تسمى غبطة، وقد تختص باسم المنافسة.

فأما الأول فهو حرام بكل حال، إلا نعمة أصابها فاجر وكافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة، وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق، فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها، فإنك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد، ولو أمنت فساده لم يغمك بنعمته ".[٣]

---

(١) ابن رجب، الفرق بين النصيحة والتعيير، ص: ٢٢.
[٢]الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تهذيب الأخلاق، مصر- طنطا، دار الصحابة للتراث، ط١، ١٤١٠ه – ١٩٨٩م، ص: ٣٤.
(٣)الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٨٩/٣- ١٩٠).

إذا تبين أن الحسد هو: تمني زوال النعمة عن الغير وكراهتها، فاعلم أن أعداء الرسل - عليهم الصلاة والسلام - قد ارتكبوا هذا الداء من أدواء القلوب، وحسدوا الرسل ومن تبعهم من المؤمنين؛ على ما أنزل الله - تبارك وتعالى - على رسله - عليهم الصلاة والسلام - ومن أكبر من حسد أهل الإسلام قديماً: اليهود والنصارى، كما جاء موضحاً في كتاب الله تعالى(١):

(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: ١٠٩)

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: كان حيي بن أخطب، وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً، إذ خصهم الله برسولهﷺوكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله:(ود كثير من أهل الكتب...) [البقرة: ١٠٩](٢)

وقد جاء في السنة النبوية ما يوضح نوعاً من هذا الحسد، روى ابن ماجه بسنده عن عائشة – رضي الله عنها- عن النبي ﷺ قال: " مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ ". (٣)

وقد ابتلى المسلمون بهذا الداء - الحسد - مصداقاً لما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّهُ سَيُصِيبُ أُمَّتِي داءُ الأُمم: الأشرُ، والبطَر، والتكاثُرُ، والتنافُسُ في الدنيا، والتباغُضُ، والتحاسدُ حتَّى يكونَ الْبَغْيُ ثُمَّ يكونُ الهرجُ.(٤)

قال الإمام ابن تيمية: عندما تحدث عن السخرية بالمؤمنين:

" وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْمِلُهُ الْحَسَدُ عَلَى الْغِيبَةِ فَيَجْمَعُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَبِيحَيْنِ: الْغِيبَةِ وَالْحَسَدِ. وَإِذَا أَثْنَى عَلَى شَخْصٍ أَزَالَ ذَلِكَ عَنْهُ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ تَنَقُّصِهِ فِي قَالِبِ دِينٍ وَصَلَاحٍ أَوْ

(١)القرشي، الاستهزاء بالدين أحكامه وآثاره، ص: ٨٦.
(٢)السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، لباب النقول في أسباب النزول، بيروت، دار إحياء العلوم، د.ط.د.ت، (١٧/١).
(٣) - سنن ابن ماجة، أبواب إقامة الصلاة، باب الجهر بآمين، برقم (٨٤٠) (١٤٢/١) وقال محققه شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة : هَذَا إِسْنَاد صَحِيح احْتج مُسلم بِجَمِيع رُوَاته (١٠٦/١).
(٤) اخرجه الحاكم، كتاب البر والصلة، برقم (٧٣١١) (١٨٥/٤ - ١٨٦)، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في « المجمع » (٣٠٨/٧) : رواه الطبراني في « الأوسط »، وفيه أبو سعيد الغفاري لم يرو عنه غير حميد بن هاني، وبقية رجاله وثقوا.

فِي قَالِبِ حَسَدٍ وَفُجُورٍ وَقَدْحٍ لِيُسْقِطَ ذَلِكَ عَنْهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرِجُ الْغِيبَةَ فِي قَالِبِ تمسخر وَلَعِبٍ لَيُضْحِكَ غَيْرَهُ بِاسْتِهْزَائِهِ وَمُحَاكَاتِهِ وَاسْتِصْغَارِ الْمُسْتَهْزَأِ بِهِ[1]

والحسد مرض خطير من أمراض القلوب،ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل. والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقاً أنّ الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين، وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما. ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدة نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة.

فأما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى، وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده، وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته، فاستنكرت ذلك واستبشعته. وهذه جناية على حقيقة التوحيد، وقذى في عين الإيمان، وناهيك بهما جناية على الدين. وقد ينضاف إلى ذلك أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته،وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى، وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم. وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب، وتمحوها كما يمحو الليل النهار.

وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا، فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا أو تتعذب به، ولا تزال في كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم، فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم، فتبقى مغموماً محروماً، متشعب القلب، ضيق الصدر، قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك وتشتهيه لأعدائك، فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقداً، ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك، فلو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع، فيكف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة... تعريف الاستهزاء وأسبابه وأما أنه لا ضرر فيه على المحسود في دينه ودنياه فواضح، لأن النعمة يدوم لا تزول عنه بحسدك، بل ما قدره اللهتعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن إلى أجل غير معلوم قدره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه، بل كل شيء عنده بمقدار، ولكل أجل كتاب.... فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق الله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق، ولا نعمة الإيمان أيضاً، لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمان، قال تعالى:(ود كثير من أهل الكتب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسنا من عند أنفسهم...) الآية [البقرة: ١٠٩] [2]

(١)ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (٢٣٧/٢٨- ٢٣٨).
(٢)الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٩٦/٣).

ثانياً:الحقد والبغض[١]

من الأسباب التي تدفع الشخص إلى السخرية من غيره؛ الحقد، والحقد في حقيقته كما عرفه الجاحظ في كتابه تهذيب الأخلاق:

" إضمار الشرّ للجاني إذا لم يتمكّن من الانتقام منه فأخفى ذلك الاعتقاد إلى وقت إمكان الفرصة، وهذا الخلق من أخلاق الأشرار، وهو مذموم جداً.[٢]

وقال الجرجانيّ: الحقد: هو طلب الانتقام، وتحقيقه: أنّ الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفّي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا،وقيل: هو سوء الظنّ في القلب على الخلائق لأجل العداوة.[٣]

من المعلوم أن أهل الشر والفساد يزعجهم ويعكر صفو باطلهم وما هم عليه ما يرونه من تحليالأخيار بالأخلاق والقيم الفاضلة، ولذلك يسعون جاهدين إلى تشويه سمعة الأخيار بكل الوسائلوالتي منها الاستهزاء والسخرية، وقد قص الله علينا قصة النبي لوط عليه السلام حينما كان سببإخراجه هو العفة والطهارة، قال تعالى: (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) سورة الأعراف: ٨٢

فعلى منطق هؤلاء المجرمين لابد من تحويل المجتمع كله إلى مجتمعرذيلة وسقوط ودنس أما أن يبقى في الأمة أصحاب طهر وعفة فهذا أمر لا يطيقه الأشرار.قال تعالى: (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) سورة البروج الآية: ٨

ثالثاً:الرغبة بالتسلية والضحك على الآخرين.

تعتبر الرغبة بالتسلية والضحك على الآخرين من أسباب السخرية بالآخرين ، وهذا يحدث

" عن طريق احتقارهم واستصغارهم وازدرائهم، والاستهانة بأقوالهم أو أعمالهم أو خلقتهم أو طبائعهم، أو أسرهم وأنسبائهم، أو قومياتهم وعناصرهم وأصولهم، أو لغاتهم وعاداتهم وأزيائهم، إلى أشباه ذلك.

وهذا التحقير والاستصغار الذي تعبر عنه السخرية؛إما أن يكون له من ظاهر ما يسخر منه مبرر، وإما أن لا يكون له مبرر مطلقاً، وإنما كانت السخرية لونا من ألوان المقاومة العدوانية لذات الشخص المسخور منه، أو لفكرته أو لعمله، وكلا الأمرين ظلم قبيح وعدوان منكر.

وإذا كان الساخر يسخر من خلقة أخيه الجسدية أو الطبعية، فإنه يسخر من أمر لا يملك المسخور منه تعديله، ولو أن الله عز وجل خلق هذا الساخر كذلك لما كان ملك

---

(١)العرابيد،محنة السخرية والاستهزاء بالدعوة في ضوء القرآن الكريم، ص: ٤٥٢.
(٢)الجاحظ، تهذيب الأخلاق، ص: ٣٣.
(٣)الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، (٩١/١).

من أمره شيئاً، ولو أن الله ابتلى هذا الساخر بمصيبة جعلت عنده عيبا يسخر السالمون، لما ملك من أمره شيئاً، فالسخرية من عيب في أصل الخلقة يحمل في مضمونه الاعتراض على الخالق، وللخالق في ابتلائه لعباده له ألوان.

ثم إن المسخور منه للعيب الذي ابتلاه الله به في أصل التكوين، أو في عوارض المصائب، ربما يكون في دخيلة نفسه، أو في خلقه وعمله، خيراً وأفضل من الساخر بكثير، فليست مِيَزُ الإنسان وفضائله محصورة في حدود جسده أو بعض أعماله، بل توجد فيه أمور أعظم من ذلك، هي عقله وإيمانه وطهارة قلبه، وتقواه وابتغاؤه الخير، وجوده وإحسانه، إلى غير ذلك من أمور كثيرة، وهذا ما دل عليه قول الله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ).

وإذا كان الساخر يسخر من أسرة أخيه أو نسبه أو قوميته أو عنصره أو لغته أو عادات قومه أو أزيائهم، فهو يسخر أيضاً من أمر لا يملكه المسخور منه، لأنها تدخل ضمن سلطة القدر الجبري، وهو أيضاً يحمل في مضمونه الاعتراض على الخالق في مقاديره، وما يبتلي به عباده.

وإذا كان الساخر يسخر من عمل أخيه وإنتاجه لما فيه من نقص أو عيب، فهو إما أن يسخر من ملكات فطرية لا يملك المسخور منه تعديلها، وإما أنيسخر من تقصيره وإهماله. أما السخرية من الملكات الفطرية فهي اعتراض على المقادير، وأما السخرية من الإهمال والتقصير في العمل ففيها ادعاء ضمني أن الساخر لا يقع بمثل هذا التقصير أو الإهمال، مع أن الواقع قد يشهد بأن الساخر ربما كان له من النقائص الإرادية ما هو أكثر بكثير مما سخر منه، حتى الشيء الذي سخر منه ربما لا يستطيع الساخر عمل مثله، لأنه أعجز من ذلك، وعلى فرض قدرته على ما هو أحسن فإن سخريته ذات تأثير سيء على روابط الأخوة الإيمانية، وعلى حق الإنسان على أخيه الإنسان.

وإذا كانت السخرية لا مبرر لها مطلقاً، كسخرية الكافرين من المؤمنين، وكسخرية العصاة من المتقين، وكسخرية الناقصين من الكاملين لتغطية نقصهم وغمط كمال أهل الكمال، فهي سخرية غاية في القبح والظلم والعدوان والشناعة.

ومن كل هذا يظهر لنا أن أخف أنواع السخرية يقال فيها:"يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ " ونتساءل عن الحكمة من النهي عن سخرية الرجال من الرجال والنساء من النساء، دون أن يأتي النص عاماً كأن يقول: « لا يسخر بعضكم من بعض » كما جاء في الغيبة: « ولا يغتب بعضكم بعضاً » ؟ ويمكن أن نجيب بأن السبب في ذلك يرجع إلى نقطتين إحداهمانفسية، والأخرى اجتماعية خاصة بالمجتمع الإسلامي:

أما الناحية النفسية: فترجع إلى أن الغالب في النساء أنهن لا يسخرن من الرجال، وأن الرجال لا يسخرون من النساء، فدافع السخرية النفسي يكون من الرجال للرجال، ومن النساء للنساء، وإن حصل شيء على خلاف هذا فهو نادر، إذ عامل التعاطف بين

الجنسين يمنع سخرية أحدهما بالآخر، وأيضاً يعف الرجل عن أن يسخر بالمرأة لأنه لا يعتبرها عنصراً منافساً له اجتماعياً، وتأبى المرأة أن تسخر من الرجل لأنها تعطف عليه، وتشعر فيه معنى القوة والقوامة، ولا ترى فيه منافساً لها مهما كان شأنه.

وأما الناحية الاجتماعية الخاصة بالمجتمع الإسلامي: فالأصل في هذا المجتمع أن لا يكون مجتمعاً مختلطاً بين الجنسين، والسخرية في الغالب تكون مع المواجهة والمخالطة.(١)

رابعاً:الجهل

من أسباب السخرية: الجهل؛ والجهل كما بينه ابن القيم؛ نوعان:

" عَدَمُ الْعِلْمِ بِالْحَقِّ النَّافِعِ، وَعَدَمُ الْعَمَلِ بِمُوجَبِهِ وَمُقْتَضَاهُ، فَكِلَاهُمَا جَهْلٌ لُغَةً وَعُرْفًا وَشَرْعًا وَحَقِيقَةً، قَالَ مُوسَى {أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [البقرة: ٦٧] لَمَّا قَالَ لَهُ قَوْمُهُ {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا} [البقرة: ٦٧] أَيْ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، وَقَالَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف: ٣٣] أَيْ مِنْ مُرْتَكِبِي مَا حَرَّمْتَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ} [النساء: ١٧]

قَالَ قَتَادَةُ: أَجْمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ كُلَّ مَا عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ جَهَالَةٌ، وَقَالَ غَيْرُهُ: أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا، وَسُمِّيَ عَدَمُ مُرَاعَاةِ الْعِلْمِ جَهْلًا، إِمَّا لِأَنَّهُ لَمْ يُنْتَفَعْ بِهِ، فَنُزِّلَ مَنْزِلَةَ الْجَهْلِ، وَإِمَّا لِجَهْلِهِ بِسُوءِ مَا تَجْنِي عَوَاقِبُ فِعْلِهِ.

فَالْفِرَارُ الْمَذْكُورُ هُوَ الْفِرَارُ مِنَ الْجَهْلَيْنِ: مِنَ الْجَهْلِ بِالْعِلْمِ إِلَى تَحْصِيلِهِ، اعْتِقَادًا وَمَعْرِفَةً وَبَصِيرَةً، وَمِنْ جَهْلِ الْعَمَلِ إِلَى السَّعْيِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ قَصْدًا وَسَعْيًا.(٢)

وبعد بيان حقيقة معنى الجهل نقول:

إن المستهزيء بغيره من الناس بالقول أو بالفعل أو بالإشارة والتلميح؛ قد يفعل ذلك لجهله بما ورد في القرآن الكريم وسنة النبيﷺ، من الوعيد الشديد لمن يسخر بغيره؛ فقد نهى الله تعالى عن السخرية، وعدها النبي ﷺ من الكبائر، وقد فصلنا ذلك في الصفحات السابقة

كذلك الذي يسخر من الدين وشعائره، يدخل في هذا الوعيد الشديد" فإن المستهزئ بالدين وشعائره - فضلاً عن الاستهزاء بالله تعالى - لم يقع في هذا الجرم العظيم، والإثم المبين إلا عن جهل؛وهذا الجهل إما أن يكون من جهة المستهزأ به، فلا

---

(١)حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها،ص: ٢٣٦.

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، (٤٧٦/١).

يعلم ما يجب لله تعالى ولرسوله ﷺ ولدين الإسلام من التعظيم والإجلال، والتوقير والاحترام، وأن هذا مقتضى الإسلام والإيمان، وبرهان على الاعتقاد الصحيح الذي ينجي صاحبه يوم القيامة. وإما أن يكون الجهل من جهة حكم الاستهزاء، فلا يتصور المستهزئ أنه باستهزائه يخرج من دائرة الإسلام؛ ويدخل في دائرة الكفر ـ والعياذ بالله تعالى - حين تتحقق الشروط وتنتفي الموانع. وقد يكون عن عناد ومكابرة كحال كثير من العلمانيين والحداثيين والشيوعيين وغيرهم." [١]

خامساً :ضعف العقل

من أسباب السخرية؛ ضعف العقل؛ فما يستهزىء بدين الله وعبادة المؤمنين به إنسان سَوِيِّ العقل؛ فالعقل حين يصح ويستقيم يرى في كل شيء من حوله موحيات الإيمان بالله، وحين يختل وينحرف لا يرى هذه الموحيات؛ لأنه حينئذ تفسد العلاقات بينه وبين هذا الوجود كله فالوجود كله يوحي بأن له إلها يستحق العبادة والتعظيم، والعقل حين يصح ويستقيم يستشعر جمال العبادة لإله الكون وجلالها، كذلك فلا يتخذها هزوا ولعبا وهو صحيح مستقيم. [٢]

ويحذر العلامة السعدي من احتقار الآخرين والاستهزاء بهم، ويبين أن هذا دليل على ضعف العقل وسفاهته فيقول:

" واحذر غاية الحذر من احتقار من تجالسه من جميع الطبقات، وازدرائه، أو الاستهزاء به قولاً، أو فعلاً، أو إشارةً، أوتصريحاً، أو تعريضاً، فإنّ فيه ثلاثة محاذير:

أحدهما: التحريم والإثم على فاعله.

الثاني: دلالته على حمق صاحبه، وسفاهة عقله، وجهله.

الثالث: أنّه بابٌ منْ أبوب الشر، وضرر على نفسه." [٣]

(١)القرشي، الاستهزاء بالدين أحكامه وآثاره، ص: ١٠٥.

(٢)- قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٩٢٢/٢).

(٣)السعدي، عبد الرحمن، الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، القاهرة، دار المنهاج، ط١، ٢٠٠٥م، ص: ٢٢٣.

المبحث الرابع

آثار السخرية على الفرد والمجتمع والدعوة الإسلامية، وكيفية مواجهتها

بعد أن تعرفنا على الأسباب والدوافع التي تؤدي إلى السخرية والاستهزاء من الآخرين، نحاول في السطور التالية أن نبرز بعض الآثار المترتبة على السخرية والاستهزاء وخاصة على الفرد والمجتمع وعلى الدعوة الإسلامية.

المطلب الأول

آثار السخرية على الفرد والمجتمع

-من آثار السخرية على الفرد والمجتمع؛ أنهاتعود بالفرد والمجتمعإلى حالة من حالات الجاهلية العمياء عن الهدي والصواب، إنها عودة إلى الخلف وهدم لبناء يقيمه الدين، نعم والهدم أشد وأخطر على الدين من الكافرين المعاندين، لما له من تضييع لجهود بذلت وتربية تحققت، وآمال عقدت، وإن الإسلام أتى ليقطع الصلة تماماً مع الجاهلية فكيف أن يعود إليها المسلمون الآن، فيمدوا جسورا نحو الهاوية ؟ ! [١]

وعلى حالة مثلها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر - وقد عير أبو ذر بلالا بأمه السوداء -:(يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية)[٢]. وقد أورد هذا الحديث البخاري تحت (باب المعاصي من أمر الجاهلية).

بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم تأكيداً منه على إبعاد الناس عن هذه العقلية الجاهلية، وتلك المفاهيم الخاطئة ربما امتحن بعض أصحابه ليظهر قيم الإسلام، وليدفع بالمسلمين عن الجاهلية السوداء تلك.[٣]

وحرصا منه صلى الله عليه وسلم- على المسلمين -" عمل على تربية المسلمين تربية عملية تحررهم من سلطان هذه المفاهيم على نفوسهم ومشاعرهم".[٤]

فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي قال:" قَالَ مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟ قَالُوا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ،وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ،وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ،قَالَ:ثُمَّ سَكَتَ.فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ؛فَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟ قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ،وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا

---

(١)الخطيب، السخرية البيانية في القرآن، ص: ٦١.
(٢)أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، حديث رقم (٣٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، حديث رقم (١٦٦١).
(٣)الخطيب، السخرية البيانية في القرآن، ص: ٦١.
(٤)حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص: ٧٥١

يُشَفَّعَ،وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا" [١].

أي:هذا الذي تقول في شأنه بحسب مقياسك المادي ما تقول من نزول في قيمته الاجتماعية؛هو خير من ملء الأرض من مثل ذلك الذي عظمت من شأنه وقدره بين الناس.

فصحح الرسول صلى الله عليه نظر الرجل إلى الأمور، ووجهه ضمنا للمقياس الحقيقي الذي تقاس به الفضائل، وتقوم به أقدار الناس، بعد أن امتحن مدى تأثير المفاهيم الإسلامية في هذا المجال على نفسه، ورأى أنه لم يستطع أن يتحرر من المفاهيم غير الإسلامية، ذات السلطان القوي على نفوس الناس بحكم العادات والتقاليد، وبتأثير المظاهر الخادعة، وتعلقالنفوس بزينة الحياة الدنيا.

وقد أبان الرسول صلى الله عليه وسلم أن قيم الحياة الدنيا ومفاهيمها الخاصة بها تتلاشى عند الله يوم القيامة، فلا جاه يومئذ من جاه الدنيا ولا نسب، ولا مال ولا نشب، ولا مناصب ولا وزارات، ولا ملك ولا إمارات ولا جبارون ولا طغاة، ولا متكبرون ولا عتاة، ولكن إيمان وتقوى وعمل صالح وإخلاص في ابتغاء مرضاة الله.[٢]

–ومن آثار السخرية والاستهزاء على المجتمع؛ هذا التفتيت للروابط الأخوية التي دعا إليها الإسلام (إنما المؤمنون إخوة)، ذلك أن " المستهزئ عرضه طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به" [٣].

فالمسخور منه يأبى أن يقبله مما يؤدي إلى العداء والضغينة لا التآخي والمساواة الذين تتطلبهما التربية الإسلامية، لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر، عندما غير بلالا بأمه، مبينا مكانة من هم مثل بلال: نعم هم إخوانكم[٤].

ويقول الشيخ الغزالي:ومما يمزق أواصر الأخوة التهكم والازدراء والسخرية من الآخرين. إن هذه الأخلاق تنشأ عن جهالة سادرة وغفلة شائنة، فإن حق الضعيف أن يحمل لا أن ينال منه، ومن حق الحائر أن يرشد لا أن يضحك عليه، وإذا وجدت بشخص عاهة أو عرضت له سيئة فأخر ما يتوقع من المسلم أن يجعل ذلك مثار تندره واستهزائه.[٥]

(١)الخطيب، السخرية البيانية في القرآن، ص: ٦٢.
(٢)حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص: ٧٥١.
(٣)الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي،ط٣، ١٤٠٧ هـ، (٦٦/١).
(٤)حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص: ٧٥٠.
(٥)الغزالي، محمد، خلق المسلم، ص: ١٥٩.

المطلب الثاني

أثر السخرية علىالدعوة الإسلامية

كان لأسلوب السخرية والاستهزاء الأثر الكبير على الدعوة الإسلامية، فهذا الأسلوب المذموم استخدمه أعداء الدعوة الإسلامية كوسيلة من الوسائل التي تمكنهم من قمع الدعوة الإسلامية ووقف مسيرتها؛ وهذا ما حدث مع الأنبياء وأصحاب الدعوات على مرِّ التاريخ وحتى يومنا هذا.

وكان المقصد الأساسي لاستخدام هذا الأسلوب من قبل أعداء الدعوة؛ هو النيل من الدعوة وذلك بتشويهها،وعرقلة مسيرتها؛ وتوهين قوى المسلمين.

وقد أشار إلى ذلك كُتَّاب السيروالتاريخ، ومن ذلك ما كتبه المباركفوري في الرحيق المختوم، وعرضه لأساليب قريش في مواجهة دعوة الإسلام، وقد استخدموا وسائل كثيرة؛ كان منها أسلوب السخرية والتحقير، ويذكر الكاتب المقصد في استخدام هذا الأسلوب فيقول:

" قصدوا بها تخذيل المسلمين، وتوهين قواهم المعنوية، فرموا النبي صلى الله عليه وسلم بتهم هازلة، وشتائم سفيهة، فكانوا ينادونه بالمجنون :قال تعالى:)وَقالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) (سورة الحجر: ٦)، ويصمونه بالسحر والكذب؛ قال تعالى:(وَعَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ، وَقالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ) (سورة ص: ٤)، وكانوا يشيعونه ويستقبلونه بنظرات ملتهمة ناقمة، وعواطف منفعلة هائجة؛ قال تعالى: (وَإِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) [سورة القلم: ٥١] وكان إذا جلس وحوله المستضعفون من أصحابه استهزأوا بهم وقالوا: هؤلاء جلساؤه (مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا) [الأنعام: ٥٣]، قال تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) [الأنعام: ٥٣] وكانوا كما قص الله علينا (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ* وَإِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغامَزُونَ*وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ* وَإِذا رَأَوْهُمْ قالُوا إِنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ*وَما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظِينَ*) [المطففين: الآيات:٢٩ - ٣٣] (١)

وانقلبت هذه الحرب إلى تنكيل وسفك دم بالنسبة إلى المستضعفين من المؤمنين، فمن ليست له عصبية تدفع عنه لا يعصمه من الهوان والقتل شيء، بل يحبس على الالام حتى يكفر أو يموت أو يسقط إعياء.(٢)

---

(١) المباركفوري، صفي الرحمن (المتوفى: ١٤٢٧هـ) الرحيق المختوم، بيروت دار الهلال، ط١، د.ت، (٧٢/١).

(٢) الغزالي، محمد السقا، فقه السيرة، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤٢٧ هـ،(١١٠/١).

ويصور القرآن الكريم جانباً من جوانب السخرية والاستهزاء به عليه الصلاة والسلام، فقد قال تعالى: (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [المجادلة: ٨].

ففي قولهم هذا استهزاء وسخرية؛ حيث كانوا يحيون رسول الله ﷺ فيقولون: « السّام عليك »، ويعنون به « الموت ».

" فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله» فقلت: يا رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قد قلت: وعليكم ".[١]

يقول القاسمي عن معنى هذه الآية: (وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِما نَقُولُ)أي: من التناجي المذموم، أو من التحريف في التحية، استهزاء وسخرية.[٢]

وكانوا أيضاً يسخرون من الرسول ﷺكما حكى القرآن ذلك؛ في موضعين:

أحدهما:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (سورة البقرة: ١٠٤)، وثانيهما قوله تعالى:(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)(سورة النساء: ٤٦)

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: "َهَذَا اسْتِهْزَاءٌ مِنْهُمْ – من اليهود - واستهتار، عليهم لعنة الله،(وَراعِنا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ)أَيْ يُوهِمُونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: رَاعِنَا سَمْعَكَ بِقَوْلِهِمْ رَاعَنَا، وإنما يريدون الرعونة بسبهم النبيﷺ.[٣]

ويقول الامام الطبري عن هذه الكلمة: " هِيَ كَلِمَةٌ كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُهَا عَلَى وَجْهِ الِاسْتِهْزَاءِ وَالْمَسَبَّةِ" [٤]

فالسخرية والاستهزاء من أعظم أسلحة أعداء الإسلام وهي من أساليبهم في الحرب النفسية ضد الرسول ﷺ والمسلمين، قاصدين بذلك القضاء على الإسلام في مهده؛ لأنهم يدركون أن السخرية والاستهزاء ذات أثر بالغ في النفوس والتهوين من

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، (١٢/٨) رقم (٦٠٢٤).

(٢)القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلميه، ط١، ١٤١٨ هـ، (١٦٩/٩).

(٣)ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩ هـ، (٢٨٥/٢).

(٤)الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (٤٦٠/٢).

الشأن، فاتخذوا هذا الأسلوب سلاحاً عدائياً ضد الدعوة والرسول ﷺ وضدّ المسلمين والمؤمنين.(١)

وهذا الشأن العظيم للسخرية والاستهزاء والأثرالفعال لأن أهم ما تعتمد عليه قوةالروح المعنوية والثقة بالنفس، والسخرية من أقوى الأشياء التي تزعزع الثقة بالنفس وإضعاف الروح المعنوية، لأنها تشكك من وجهت إليه في نفسه، وفي موقفه وتحمله على أن يفكر، ومجرد التفكير في ذلك نوع من الوهن في موقف من وجهت إليه السخرية، بل إن السخرية تهز كيان من وجهت إليه هزاً عنيفاً وتزلزل ثقته زلزلة شديدة.(٢)

وعندما يتأمل المسلم في وسائل الإعلام العالمية والعربية - إلا ما رحم ربي - يجد أنها تمارس أسلوب الاستهزاء والسخرية على شكل رسوم كاريكاتيرية، وأفلام ومسلسلات ومنشورات، تبرز مظاهر تبعث على السخرية والاستهزاء بدعاة الإسلام من فقهاء ومحدثين وغيرهم ، وتلمز المطوعين من المؤمنين في الصدقات وفعل الخيرات، وكل من يلتزم بهدي الإسلام، وسنن النبي ﷺ وهديه، يبث ذلك أعداء الإسلام في الغرب، ويتبعه المنافقون في ديار الإسلام واصفين المتمسكين بالكتاب والسنة بالأصوليين المتطرفين، وهذا الوصف « الأصولية » نشأ في الغرب حيث كان يطلق على بعض الجماعات النصرانية، ثم انتقل هذا المصطلح من الغرب إلى المسلمينووصموا به طائفة من المسلمين.(٣)

وفي مواجهة السخرية والاستهزاء من الدعوة الإسلامية ورسولها الكريم ﷺ؛ نجد أن منهج الإسلام كان واضحاً في تلك المواجهة، فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ، بالاستمرار في الدعوة، والإعراض عما يفعله هؤلاء المستهزؤون؛ فقال تعالى:

(فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ *وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)(سورة الحجر الآيات: ٩٤- ٩٩)

ففي هذه الآيات أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالاستمرار في الدعوة والجهر بها، والقيام بالمهمة التي أمر بها، دون مبالاة بالمشركين، وتطمين رباني بأنه قد كفاه شر المستهزئين به؛ الذين يشركون مع الله غيره؛ والذين سوف يرون سوء عاقبة كفرهم ومواقفهم فلن يصل إليه أذاهم. وتسلية ربانية ثانية له، فالله يعلم أنه ليضيق صدره بما

(١)القرشي، الاستهزاء بالدين أحكامه وآثاره، ص: ٦٩٠.
(٢)المرجع السابق، ص: ٦٩٠.
(٣)المرجع السابق، ص: ٦٩٠.

يقولون عنه وعن القرآن ويحزن منه فليهدأ روعه وليطمئن قلبه وليسبح الله ويذكره ويسجد له ويعبده ما دام حيا، ففي ذلك سكينة للقلب وطمأنينة للروح وتهدئة للنفس.[١]

وذكر القرآن الكريم لهذه الأحداث التي وقعت سواء مع النبيﷺ،أو مع باقي الأنبياء -عليهم السلام -، فيه مقاومة للسخرية من وجوه عدة منها:

١- طرح أسلوب السخرية على أنه عادة الأعداء في خصوماتهم كلها، فلا يغفل عنه المجتمع المسلم، ويعد العدة للرد عليه وفق منهجية القرآن الكريم.
٢- تعدد صور الاستهزاء، المذكورة في القرآن الكريم، يشمل كل صور الاستهزاء في كل العصور، فلا يخرج توقع المجتمع المسلم عنها، سواء كان الاستهزاء موجه لذات الدين ومعتقداته، أو الشخصية المسلمة وسماتها.
٣- ذكر مواقف الأنبياء من أقوامهم إزاء السخرية، فيه طرح نماذج عملية القدوات حقيقية تعرضت للسخرية ولم توثر بها.
٤- دفاع الله تعالى عن الأنبياء وأتباعهم، فيه وعد ضمني لاستمرار دفاع الله عن الجماعة المسلمة تجاه أساليب السخرية المتعددة في هذا العصر، وذلك إن الحقيقة تفرض اليقين بطبيعتها.
٥- توجيه الرسول إلى عدم الاهتمام باستهزاء المشركين، وأن ينشغل عن ذلك بعبادة الله عزوجل، وفي ذلك قدوة للمؤمنين.[٢]

ومن منهجية القرآن الكريم أيضا في مواجهة أسلوب السخرية بعد تحريمه،أنه في مقابل صيانة الشخصية المسلمة من الاستهزاء، لسموها بالدين، قام القرآن الكريم برسم صورة ساخرة لشخصية العدو الكافرة، من باب عدم التأثر بما يطلقونه من سخرية،إذ إن السخرية لا يكون لها أثر عند صدورها ممن هو مدعاة للسخرية، فرسم القرآن الكريم عدة تصورات ساخرة للكفار للأعداء، تناولت شخصياتهم وأفكارهم وأرائهم وحكمهم على الأمور ومنهج حياتهم، وهذه الصور كانت تتناول شخصية العدو الكافرة بشكل عام مهما كان زمانهاومكانها[٣].

---

(١) - دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، ١٣٨٣هـ، (٦٠/٤).

(٢)الحمامي، منهج القرآن الكريم في التصدي لأساليب الحرب النفسية (أسلوب السخرية أنموذجا)، ص: ٤٨.

(٣)المرجع السابق، ص: ٤٨.

ونقف على بعض هذه الصور على سبيل التمثيل وليس الحصر وهي:[١]

١- قال تعالى:(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ)(سورة الانفال: ٥٥- ٥٦)،

جعل الله عز وجل المُصِّرين على الكفر المتمادين في الضلال والناقضين للعهود من شر الدواب عند الله عز وجل؛لانسلاخهم عن إنسانيتهم[٢].

وهذا التصوير يمنع تأثر المسلمين بسخرية أعدائهم، فالعاقل لا يتأثر بمن كان متصفاً بذلك الصفات.

٢- وفي سياق وصف طريقة تفكيرهم، قال تعالى:(وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (سورة الانفال: ٣٢) وهذا من كثرة جهلهم وعتوهم وعنادهم وشدة تكذيبهم، وهذا مما عيبوا به، وكان الأولى لهم أن يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووفقنا لإتباعه، ولكن استفتحوا على أنفسهم، واستعجلوا العذاب، وتقديم العقوبة، كما قال تعالى:

(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (سورة العنكبوت: ٥٣)، و قوله تعالى: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ) (سورة المعارج: ١-٣)، وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة، كما قال قوم شعيب له: (فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (الشعراء: ١٨٧)

٣- وفي سياق وصف أسلوب تلقيهم للعلم، وعدم استفادتهم منه، يقول تعالى:

(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الجمعة: ٦٢)

يَقُولُ تَعَالَى ذَامًّا لِلْيَهُودِ الَّذِينَ أُعْطُوا التَّوْرَاةَ وَحَمَلُوهَا لِلْعَمَلِ بها ثم لم يَعْمَلُوا بِهَا: مَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا، أَيْ كَمَثَلِ الْحِمَارِ إِذَا حُمِّلَ كُتُبًا لَا يَدْرِي مَا فِيهَا، فَهُوَ يَحْمِلُهَا حَمْلًا حِسِّيًّا وَلَا يَدْرِي مَا عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ فِي حَمْلِهِمُ الْكِتَابَ الَّذِي أُوتُوهُ حَفِظُوهُ لَفْظًا وَلَمْ يَفْهَمُوهُ وَلَا عَمِلُوا بِمُقْتَضَاهُ، بَلْ أَوَّلُوهُ وَحَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ فَهُمْ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْحَمِيرِ، لِأَنَّ الْحِمَارَ لَا فَهْمَ لَهُ، وَهَؤُلَاءِ لهم فهوم لم يستعملوها، ولهذا قال تعالى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:

(أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [الأعراف: ١٧٩] وقال تعالى هاهنا: (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [٣]

---

(١)المرجع السابق، ص: ٤٩.
(٢)الشوكاني، فتح القدير، (٣٦٤/٢).
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١١٧/٨).

المطلب الثالث

الدعاة ومواجهتهم للسخرية والاستهزاء

للدعاة دور عظيم في مواجهة آثار السخرية والاستهزاء، وقدوتهم في ذلك الأنبياء- صلوات الله عليهم وتسليمه- فقد بلغوا رسالات ربهم، وصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصر الله تعالى، وعلى هذا المنهج يسير الداعية، فينطلق في دعوة الناس جميعاً إلى الله تعالى، فإن أصابته ضراء من تكذيب واستهزاء وسخرية صبر على ذلك، وعليه كذلك مهمة كبيرة في علاج السخرية والاستهزاء، وهذا ما سيتضح في السطور التالية.

١-الصبر على السخرية والاستهزاء

فعلى الداعية أن يتحلى بصفة الصبر، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ، عند مواجهته لإيذاء قومه، وسخريتهم به أن يصبر على هذا الإيذاء، قال تعالى: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ) (سورة الروم: ٦٠)

وإذا كان هذا الخطاب بالصبر موجها للنبي صلّى الله عليه وسلم، فإن المراد به أمته، فعلى الأمة أن تصبر في تبليغ الدعوة الإسلامية لكل أمم الأرض، وأن تثبت في بيان أصول الدعوة إلى الإيمان، لأن حبل الخير متصل دائم إلى يوم القيامة، وحبل الخير لا يكون إلا بجهود الدعاة إلى الله تعالى.

ولا يضير الداعية إلى ربه أن يقف الكافر الجاحد موقف العناد، والتكبر، أو السخرية والاستهزاء، لأن هذه هي مواقف الجهلة المستبدين، الذين لا يصغون لنداء العقل والوجدان، والتأمل في مشاهدات الكون، الدالة على وجود الله وسلطانه، وقدرته، وتوحيده، وتفرده بالخلق والإيجاد.

إن إشراقة القلب بالإيمان لا تحتاج إلى جهد كبير، فمن أصغى لنداء العقل الحر السوي، وتأمل في خزائن الكون وأسراره، وحاكم محاكمة عقلية سريعة في ربط الأشياء بأسبابها، سهل عليه الانصياع لقواعد الإيمان الصحيحة، بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. ومن وجد حلاوة الإيمان في قلبه، بادر إلى توسيع آفاق المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، وسارع إلى طاعة الله في كل مأموراته ومنهياته، وحينئذ يجد السعادة والطمأنينة تغمر قلبه، وتفيض عليه بالفيوضات الإلهية السخية سخاء لا حدود له.[١]

وقال تعالى موضحاً صبر الرسل على تكذيب قومهم لهم، وتحمل الأذى والاستهزاء والسخرية : (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا

(١) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط للزحيلي، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢ هـ، (٢٠١٥/٣).

حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ) (سورة الأنعام الآية: ٣٤)

ومعنى الآية: " أي صبروا على ما نالهم من قومهم من التكذيب والاستهزاء {وَأُوذُواْ حتى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} أي وأُوذوا في الله حتى نصرهم الله، وفي الآية إرشادٌ إلى الصبر، ووعدٌ له بالنصر {وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ الله} قال ابن عباس: أي لمواعيد الله، وفي هذا تقوية للوعد {وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِ المرسلين} أي ولقد جاءك بعض أخبار المرسلين الذين كُذّبوا وأُوذوا كيف أنجيناهم ونصرناهم على قومهم فتسلَّ ولا تحزن فإن الله ناصرك كما نصرهم " (١)

إنها " كلمات يقولها الله - سبحانه - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - كلمات للذكرى، وللتسرية وللمواساة، والتأسية؛ وهي ترسم للدعاة إلى الله من بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طريقهم واضحاً، ودورهم محدداً، كما ترسم لهم متاعب الطريق وعقباته، ثم ما ينتظرهم بعد ذلك كله في نهاية الطريق، إنها تعلمهم أن سنة الله في الدعوات واحدة. كما أنها كذلك وحدة؛ وحدة لا تتجزأ؛ دعوة تتلقاها الكثرة بالتكذيب، وتتلقى أصحابها بالأذى.. وصبر من الدعاة على التكذيب وصبر كذلك على الأذى.. وسنة تجري بالنصر في النهاية.. ولكنها تجيء في موعدها. لا يعجلها عن هذا الموعد أن الدعاة الأبرياء الطيبين المخلصين يتلقون الأذى والتكذيب، ولا أن المجرمين الضالين والمضلين يقدرون على أذى المخلصين الأبرياء الطيبين! ولا يعجلها كذلك عن موعدها أن صاحب الدعوة المخلص المتجرد من ذاته ومن شهواته إنما يرغب في هداية قومه حباً في هدايتهم، ويأسى على ما هم فيه من ضلال وشقوة، وعلى ما ينتظرهم من دمار وعذاب في الدنيا والأخرة.(٢)

فلذلك على الداعية أن يتحلى في الصبر وهو يرشد قومه إلى طريق الله تعالى، وأن يضع نصب عينيه سيرة الأنبياء – صلوات الله عليه – وصبرهم على إيذاء قومهم لهم.

٢- الإعراض عن الساخرين والمستهزئين

فالداعية عليه أن يعالج أمر السخرية والاستهزاء؛ بالابتعاد عن مجالس الساخرين، والإعراض عنهم؛ قال تعالى: (وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (سورة الأنعام: (٦٨)

والمعنى: " وإذا رأيت يا محمد وكذا كل مسلم؛ الذين يخوضون في آياتنا

(١) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، (٣٥٨/١).
(٢) - قطب، في ظلال القرآن، (١٨/٣).

بالتكذيب والاستهزاء فأعرض عنهم، ولا تجالسهم حتى يخوضوا في غير حديث الكفر والاستهزاء؛ ومثلهم من يخوضون في القرآن بتأويله تأويلاً يوافق أهواءهم واتجاههم، لا تجالسهم وابتعد عنهم، وقد روى هذا الرأى عن ابن عباس- رضى الله عنه- ولعل السر في ذلك أنك إذا أعرضت عنهم، وقمت من مجلسهم كان أدل على عدم مشاركتهم فيما يقولون وعلى عدم الرضا عما يفعلون! وهذه بلا شك أدعى للكف عن الخوض والاستهزاء غالبا، وإذا خاضوا في غير ذلك الحديث فلا مانع من مجالستهم والتحدث إليهم.(١)

وقال تعالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) (سورة النساء الآية: ١٤٠)

ومعنى الآية: " إنكم- أيها المؤمنون - إذا سمعتم الكلام الذي يتضمن جعل الآيات فى موضع السخرية والاحتقار فابتعدوا عنهم، ولا ترجعوا إليهم حتى يعودوا إلى حديث آخر.

وفى الآية دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يدل على التنقص والاستهزاء بالأدلة الشرعية والأحكام الدينية كما يقع من أسراء التقليد الذين استبدلوا آراء العلماء بالكتاب والسنة ولم يبق فى أيديهم إلا قال إمام مذهبنا كذا، وقال فلان من أتباعه كذا، وإذا استدل أحد بآية قرآنية أو بحديث نبوى سخروا منه وظنوا أنه قد جاء بخطب شنيع، وجعلوا رأى إمامهم مقدما على ما نطق به الكتاب، وأرشدت إليه السنة.

(إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ) أي إنكم إن قعدتم معهم تكونوا شركاء لهم فى الكفر، لأنكم رضيتم به ووافقتموهم عليه.

وفى الآية إيماء إلى أن من يقر المنكر ويسكت عليه يقع فى الإثم، وإلى أن إنكار الشيء يمنع من انتشاره بين الناس.

وقد وقع فى هذا المنكر كثير من المسلمين، فإنهم يرون الملحدين فى البلاد يخوضون فى آيات الله ويستهزئون بالدين وهم يسكتون عن ذلك ولا يبدون إنكارا، ولا اشمئزازا ولا صدا ولا إعراضا.(٢)

ويقول صاحب الظلال في التعليق على هذه الآية: " وأولى مراتب النفاق أن يجلس المؤمن مجلساً يسمع فيه آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، فيسكت ويتغاضى.. يسمي ذلك تسامحاً، أو يسميه دهاء، أو يسميه سعة صدر وأفق وإيماناً بحرية

(١) الحجازي، التفسير الواضح، (٦٢٥/١).
(٢) المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط١،١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، (١٨٣/٥).

الرأي!!! وهي هي الهزيمة الداخلية تدب في أوصاله؛ وهو يموه على نفسه في أول الطريق، حياء منه أن تأخذه نفسه متلبساً بالضعف والهوان.!

إن الحمية لله، ولدين الله، ولآيات الله. هي آية الإيمان. وما تفتر هذه الحمية إلا وينهار بعدها كل سد؛ وينزاح بعدها كل حاجز، وينجرف الحطام الواهي عند دفعة التيار. وإن الحمية لتكبت في أول الأمر عمداً. ثم تهمد. ثم تخمد. ثم تموت.!

فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس، فإما أن يدفع، وإما أن يقاطع المجلس وأهله. فأما التغاضي والسكوت فهو أول مراحل الهزيمة. وهو المعبر بين الإيمان والكفر على قنطرة النفاق![1]

٣- تحذير الساخرين من العقاب في الدنيا والآخرة

والداعية إلى الله تعالى من واجباته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدع بالحق، كما فعل النبي ﷺ وصحابته الكرام؛ لذا كان من مهمته التحذير من عاقبة الصفات المذمومة؛ والتي منها السخرية، فعليه أن يذكر الناس بعاقبة السخرية في الدنيا وفي الآخرة، ولينظر إلى القرآن الكريم وحديث النبي ﷺ، فقد بينت عاقبة الساخرين والمستهزئين في الدنيا والآخرة.

" وقد أخبر سبحانه بما عاقب به أهل السيئات من الأمم؛ كقوم نوح؛ وعاد؛ وثمود؛ وقوم لوط؛ وأصحاب مدين؛ وقوم فرعون: في الدنيا، وأخبر بما يعاقبهم به في الآخرة؛.. ولهذا يذكر الله في عامة سور الإنذار ما عاقب به أهل السيئات في الدنيا، وما أعده لهم في الآخرة، وقد يذكر في السورة وعد الآخرة فقط؛ إذ عذاب الآخرة أعظم؛ وهي دار القرار.[2]

وقد أخبر القرآن الكريم بما عاقب به الساخرين والمستهزئين في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (سورة الأنعام الآية: ١٠)

يعلق صاحب الظلال على هذه الآية بقوله " إن هذه اللفتة - بعد ذكر إعراضهم عناداً وتعنتاً؛ وبعد بيان ما في اقتراحاتهم من عنت وجهالة؛ وما في عدم الاستجابة لهذه المقترحات من رحمة من الله وحلم - لترمي إلى غرضين ظاهرين:

الأول: تسلية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتسرية عنه، مما يلقاه من عناد المعرضين، وعنت المكذبين؛ وتطمين قلبه - صلى الله عليه وسلم - إلى سنة الله سبحانه في أخذ المكذبين المستهزئين بالرسل؛ وتأسيته كذلك بأن هذا الإعراض والتكذيب ليس بدعاً في تاريخ الدعوة إلى الحق. فقد لقي مثله الرسل قبله؛ وقد لقي

(١) - قطب، في ظلال القرآن، (٢٦٤/٢).
(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٣٩/٢٨).

المستهزئون جزاءهم الحق وحاق بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب، ومن غلبة الحق على الباطل في نهاية المطاف.

والثاني: لمس قلوب المكذبين المستهزئين من العرب بمصارع أسلافهم من المكذبين المستهزئين: وتذكيرهم بهذه المصارع التي تنتظرهم إن هم لجوا في الاستهزاء والسخرية والتكذيب. وقد أخذ الله - من قبلهم - قروناً كانت أشد منهم قوة وتمكيناً في الأرض؛ وأكثر منهم ثراء ورخاء، كما قال لهم في مطلع هذه الموجة؛ التي ترج القلوب رجاً بهذه اللفتات الواقعية المخيفة." [1]

وقال تعالى: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) سورة الرعد الآية: ٣٢)

ومعنى الآية: " لستَ بِدعاً يا محمد في أن يقف بعض الكافرين منك هذا الموقف. والمثَلُ هو الحَكَم بين أبي العاص أبو مروان الذي كان يُقلِّد مشية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وكان رسول الله يمشي كأنما يتحدَّر من صبب؛ وكان بصره دائماً في الأرض.

ولم يكن الناس مُعْتادين على تلك المِشْية الخاشعة؛ فقد كانوا يسيرون بغرور مستعرضين مناكبهم.

وحين قَلَّد الحَكَمُ رسول الله؛ رآه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بنور البصيرة، فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: كُنْ على هذا، فصارت مِشْيته عاهة، بينما كانت مِشْية رسول الله تطامناً إلى ربه، وتواضعاً منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

ونفَى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَكَم إلى الطائف؛ وراح يَرْعى الغنم هناك، ولم يَعْفُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه؛ وكذلك أبو بكر في خلافته؛ ولا عمر بن الخطاب؛ ولكن الذي عفا عنه هو عثمان بن عفان، وكان قريباً له.

وشهد عثمان بن عفان وقال: والله لقد استأذنتُ رسول الله فيه فقال لي: إن استطعت أن تعفوَ عنه فَاعْفُ، وحين وَلِيتُ أمرَ المسلمين عَفَوْتُ عنه.

وحدث من بعد ذلك أن تولَّى عبد الملك بن مروان أمر المسلمين؛ وكان لابنه الوليد خَيْل تتنافس مع خيل أولاد يزيد بن معاوية؛ واحتال أولاد يزيد بالغش، ووضعوا ما يُعرقِل خَيْل الوليد.

وحدث خلاف بين الفريقين فشتم الوليدُ أبناء يزيد؛ فذهب أولاد يزيد إلى عبد الملك يشكُون له ولده؛ وكان الذي يشكو لا يتقن نُطْق العربية دون أخطأ؛ فقال له عبد الملك: مَا لَكَ لا تقيم لسانك من اللحْن؟ فردَّ الذي يشكو ساخراً: والله لقد أعجبتْنِي فصاحةُ الوليد: ويعني: أن حال لسان ابن عبد الملك لا يختلف عن حال لسان مَنْ يشكو؛ فكلاهما لا ينطق بِسَلاسَة، ويكثر اللحْنَ في النُّطْق بالعربية.

---

(١) - قطب، في ظلال القرآن، (٤٨٠/٢).

فقال عبد الملك: أَتُعيِّرني بعبد الله ابني الذي لا يُتقِن العربية دون لَحْن؟ إن أخاه خالداً لا يلحن. وتبع ذلك بقوله: اسكُتْ يا هذا، فلستَ في العِير ولا في النَّفِير.

وهذا مَثَلٌ نقوله حالياً، وقد جاء إلينا عَبْر قريش؛ حيث كانت السلطةُ فيها ذات مَصْدرين؛ مصدر العِير؛ أي: التجارة التي تأتي من القوافل عَبْر الشام وقائدها أبو سفيان؛ والنَّفِير؛ وهم القَوْم الذين نَفَرُوا لِنجْدةِ أبي سفيان في موقعة بدر؛ وكان يقودهم عتبة.

فقال ابن يزيد: ومَنْ أَوْلَى بالعِير والنَّفِير منِّي؟ ويعني أنه حفيدُ أبي سفيان من ناحية الأب؛ وحفيدُ عُتْبة من ناحية الأم.

وأضاف: لكن لو قُلْت شُوَيْهات وغُنَيْمات وذكرت الطائف لكنتَ على حق؛ ورَحِم الله عثمان الذي عفَا عن جَدِّك، وأرجعه من المَنْفى.

ونعلم أن الحق سبحانه وتعالى قال لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ المستهزئين) [سورة الحجر: ٩٥] وكان أيّ إنسان يسخر من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَلْقَى عقاباً إلهياً.

وهنا يقول الحق سبحانه: (وَلَقَدِ استهزئ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) [سورة الرعد: ٣٢]، فأنت يا رسول الله لستَ بِدْعاً في الرسالة، ولك أسوة في الرسالة، والحق سبحانه يَعِدُكَ هنا في مُحْكَم كتابه: {فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ... } [الرعد: ٣٢] أي: أمهلتُ الذين كفروا، والإملاء بمعنى الإمهال ليس معناه تَرْك العقوبة على الذَّنْب، وإنما تأخير العقوبة لذنب قادم، والمَثَل هو أن تترك مخطئاً ارتكبَ هَفْوة؛ إلى أنْ يرتكب هَفْوة ثانية؛ ثم ثالثة، ثم تُنْزِل به العقاب من حيثُ لا يتوقع.

وإذا كان هذا ما يحدث في عالم البشر؛ فما بَالُنا بقوة الحق سبحانه اللامتناهية، وهو القائل: (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ) [سورة الأعراف: ١٨٢].

ويقول تعالى: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذين كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيزدادوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [آل عمران: ١٧٨] تماماً مِثْلما نجد مَنْ يصنع فَخّاً لعدوه. وهنا يقول الحق سبحانه: {وَلَقَدِ استهزئ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [الرعد: ٣٢] وكلمة: {... فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [الرعد: ٣٢]

توضح أنه كان عقاباً صارماً؛ ولذلك يقول الحق سبحانه في موقع آخر: (إِنَّ الذين أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ الذين آمَنُواْ يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقلبوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقلبوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قالوا إِنَّ هؤلاء لَضَالُّونَ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فاليوم الذين آمَنُواْ مِنَ الكفار يَضْحَكُونَ عَلَى الأرآئك يَنظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الكفار مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ) [المطففين: ٢٩ - ٣٦] إذن: فلسوْفَ يَلْقَى الذين استهزءوا بالرسل العقاب الشديد." [١]

(١) - تفسير الشعراوي، (١٢/٧٣٥٤).

ومن العقوبات التي حلت بالساخرين زمن النبي ﷺ مارواه البخاري في صحيحه عن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ:

" كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَادَ نَصْرَانِيًّا فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلاَّ مَا كَتَبْتُ لَهُ فَأَمَاتَهُ اللهُ، فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ فَقَالُوا: هذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ فَحَفَرُوا لَهُ، فَأَعْمَقُوا فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ فَقَالُوا: هذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ فَحَفَرُوا لَهُ، وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الأَرْضِ، مَا اسْتَطَاعُوا فَأَصْبَحَ قَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ" (١).

فين هذا الحديث عقاب الله تعالى للساخرين والمستهزئين بالرسول ﷺ والافتراء عليه.

وعن عامر بن سعد " قَالَ: بَيْنَمَا سَعْدٌ- ابن أبي وقاص - يَمْشِي إِذْ مَرَّ بِرَجُلٍ وَهُوَ يَشْتِمُ عَلِيًّا وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: إِنَّكَ لَتَشْتُمُ قَوْمًا قَدْ سَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا سَبَقَ، لَتَكُفَّنَّ عَنْ شَتْمِكَ، أَوْ لَأَدْعُوَنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ، قَالَ: يُخَوِّفُنِي كَأَنَّهُ نَبِيٌّ، قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا يَسُبُّ أَقْوَامًا قد سبق لَهُمْ مِنْكَ مَا سَبَقَ فَاجْعَلْهُ الْيَوْمَ نَكَالًا، قَالَ: فَجَاءَتْ بُخْتِيَّةٌ- الأنثى من الإبل -، فَأَفْرَجَ النَّاسُ لَهَا، فَتَخَبَّطَتْهُ، قَالَ: فَرَأَيْتُ النَّاسَ يَتَّبِعُونَ سَعْدًا وَيَقُولُونَ: اسْتَجَابَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ." (٢)

فهذا عقاب الطاعنين والمستهزئين والساخرين من أصحاب رسول الله ﷺ في الدنيا، أما عقابهم في الآخرة، فقد عاقبهم الله تعالى بأنواع من العذاب، منها: أن المؤمنين يسخرون منهم يوم القيامة، كما سخر منهم الكافرون في الدنيا؛ قال تعالى: (إِنَّ الذين أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ الذين آمَنُواْ يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقلبوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقلبوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قالوا إِنَّ هؤلاء لَضَالُّونَ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فاليوم الذين آمَنُواْ مِنَ الكفار يَضْحَكُونَ عَلَى الأرآئك يَنظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الكفار مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ) [المطففين: ٢٩ - ٣٦]

قال ابن القيم الله: " وتأمل كيف قابل سبحانه ما قاله الكفار في أعدائهم في الدنيا وسخروا به منهم، بضده في القيامة، فإن الكفار كانوا إذا مر بهم المؤمنون يتغامزون

(١) - صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام، ٢٠٢/٤، برقم : ٣٦١٧.
(٢) اخرجه الطبراني في الكبير: (١٤٠/١) رقم (٣٠٧) وقال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. ينظر: الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ط. ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، (١٥٤/٩).

ويضحكون منهم... فقال تعالى: (فاليوم الذين ءامنوا من الكفار يضحكون)؛ مقابلة لتغامزهم وضحكهم منهم " [١].

فلا شك أنها عقوبة وخيمة على أصحابها وفضيحة بين الخلائق يوم القيامة،" لأن المستهزئ مقصوده إخزاء غيره عند الناس، وهذا فيه إخزاء نفسه عند الله وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام، فلو تفكرت في حسرتك وجنايتك وخيبتك وخزيك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار، لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك !. ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك، فإنك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار إلى النار، مستهزءاً بك وفرحاً بخزيك ومسروراً بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسليطه على الانتقام منك " [٢]

ومن عقوبة الله تعالى للمستهزئين والساخرين : أن الله ﷻ يوم القيامة يوقفهم على جسر جهنم تنكيلا لهم ونصراً لمن استهزؤا به ، فعن سهل بن معاذ بن أسد الجهني، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: " من حمى مُؤمناً مِن مُنافِقٍ -أُراه قال- بعثَ اللهُ مَلَكاً يحمي لحمَه يوم القيامةِ من نارِ جهنم، ومن رمى مسلماً بشيءٍ يريدُ شَيْنَهُ بهِ حبسهُ الله على جسرِ جهنم، حتى يخرُجَ مما قال. " [٣]

ومعنى الحديث: " مَنْ حَمَى) أَيْ: حَرَسَ (مُؤْمِنًا) أَيْ: عِرْضَهُ (مِنْ مُنَافِقٍ) أَيْ: مُغْتَابٍ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ مُنَافِقًا؛ لِأَنَّهُ لَا يُظْهِرُ عَيْبَ أَخِيهِ عِنْدَهُ لِيَتَدَارَكَ، بَلْ يُظْهِرُ عِنْدَ خِلَافِ ذَلِكَ، أَوْ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ النَّصِيحَةَ وَيُبْطِنُ الْفَضِيحَةَ. (بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ) أَيْ: لَحْمَ حَامِي الْمُؤْمِنِ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَمَنْ رَمَى) أَيْ: قَذَفَ (مُسْلِمًا): فِيهِ تَفَنُّنٌ لِإِشْعَارِ بِصِحَّةِ إِطْلَاقِ كُلِّ مَوْضِعٍ الْآخَرَ (بِشَيْءٍ) أَيْ: مِنَ الْعُيُوبِ (يُرِيدُ بِهِ شَيْنَهُ) أَيْ: غَيْبَهُ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ لِلِاحْتِرَازِ عَمَّنْ يُرِيدُ بِهِ زَجْرَهُ، أَوِ احْتِرَاسٍ غَيْرِهِ عَنْهُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْمُجَوَّزَاتِ الشَّرْعِيَّةِ. (حَبَسَهُ اللَّهُ) أَيْ: وَقَّفَهُ (عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ): وَهُوَ صِرَاطٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهَا أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ (حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ) أَيْ: مِنْ

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق : محمد حامد الفقي، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف، د.ط، د.ت، (٣٣/١).

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٥٠/٣)

(٣) - سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبة، برقم (٤٨٨٣) (٥/١٩٦) وقال محققه شعَيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف، لجهالة إسماعيل بن يحيى المعافري، وضعف سهل بن معاذ.

عُهْدَتِهِ، وَالْمَعْنَى حَتَّى يُنَقَّى مِنْ ذَنْبِهِ ذَلِكَ بِإِرْضَاءِ خَصْمِهِ أَوْ بِشَفَاعَةٍ أَوْ بِتَعْذِيبِهِ بِقَدْرِ ذَنْبِهِ"(١)

ومن عقوبة الله تعالى للمستهزئين في الآخرة: ما رواه البخاري بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ ".(٢)

إذا تقرر ما تقدم من مصير المستهزئين، وعاقبتهم في الدنيا والآخرة، وأنهم سيحصدون جزاء أعمالهم السيئة، جزاء وفاقاً، وسيتعرضون لسخط الله، ومكره واستهزائه بهم، فما أبأس من يستهزئ به جبار السموات والأرض، وما أشقاه ! وأنهم معذبون بعذاب الله تعالى إن ماتوا على جرمهم هذا من غير توبة نصوح.

فعلى الداعية العاقل أن مواطن الهلاك والعطب، ومزالق الطريق التي تفضي به في بعض الأحيان إلى التلفظ بكلمة الكفر، وهو لا يشعر، فتهوي به في النار كذا وكذا، فالواجب على المسلم حفظ أقواله وأفعاله وتصرفاته، وأن يضبطها بضابط الشرع، وأن يتورع عن الخوض في الباطل ويكون ممن قال الله فيهم: **(وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)** [الفرقان: ٧٢]، وممن يدعون الله - تبارك وتعالى -: **(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا)**(سورة الفرقان: ٦٥ - ٦٦].

(١) القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري(المتوفى: ١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بيروت – لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، (٣١٢٤/٨).

(٢) - صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، برقم (٦٣٧٧ - ٦٤٧٨)، وصحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، برقم (٢٩٨٨).

الخاتمة:

انتهى البحث إلى جملة من النتائج، منها:

-إن السخرية تعني الاستهانة بالآخرين وتحقيرهم بالقول أو بالفعل أو بالإشارة أو بالإيماء.

-إن هناك فوراق بين السخرية وغيرها من الألفاظ ذات الصلة كالاستهزاء واللعب والمزاح، وظهر من الفوارق: أن السخرية تكون بالفعل وبالقول، والاستهزاء لا يكون إلا بالقول، وأن السخرية يسبقها عمل من أجله يسخر بصاحبه، أما الاستهزاء فلا يسبقه ذلك. وأَن المزاح لَا يَقْتَضِي تحقير من يمازحه وَلَا اعْتِقَاد ذَلِك بينما تقتضي السخرية ذلك كله.

-وردت كلمة السخرية بمشتقاتها ست عشرة مرة في إحدى عشرة سورة من سور القرآن الكريم شاملة السخرية من الرسل عليهم الصلاة والسلام، سخرية الكافرين من المؤمنين، وسخرية المنافقين من المؤمنين، والنهي عن سخرية المؤمنين من المؤمنين، والاستهزاء بالدين.

-نهى النبي ﷺ - في أحاديث كثيرة- عن السخرية من الآخرين سواء بالقول أو بالفعل أو عن طريق محاكاتهم وتقليدهم، وعدَّ ذلك من كبائر الذنوب، ومانعاً من دخول الجنة.

-إن السخرية لا تلزم صورة واحدة بل لها صور منها: الهمز واللمز، والتنابز بالألقاب، والتهكم والتعيير.

-إن السخرية لها أسباب ودوافع ترجع في مجملها إلى: الحسد، والحقد والبغض، والرغبة بالتسلية والضحك على الآخرين، الجهل، ضعف العقل.

-إن للسخرية آثار خطيرة وكبيرة على الفرد والمجتمع وعلى واقع الدعوة الإسلامية.

-من آثار السخرية على الفرد والمجتمع؛ أنها تعود بالفرد والمجتمع إلى حالة من حالات الجاهلية العمياء عن الهدي والصواب، وتعمل على تفتيت روابط الأخوة التي أرسى الإسلام دعائمها.

-إن أسلوب السخرية أسلوب قديم استخدمه أعداء الدعوة الإسلامية كوسيلة من الوسائل التي تمكنهم من قمع الدعوة الإسلامية ووقف مسيرتها؛ وهذا ما حدث مع الأنبياء وأصحاب الدعوات على مرِّ التاريخ وحتى يومنا هذا.

-إن من المعالجات القرآنية لأسلوب السخرية الذي تعرض لها الرسول توجيه الرسول إلى عدم الاهتمام باستهزاء المشركين، وأن ينشغل عن ذلك بعبادة الله عز وجل، وفي ذلك قدوة للمؤمنين.

-للدعاة دور عظيم في مواجهة آثار السخرية والاستهزاء، وقدوتهم في ذلك الأنبياء- صلوات الله عليهم وتسليمه عن طريق حث أنفسهم وغيرهم على الصبر على السخرية والاستهزاء، والإعراض عن الساخرين والمستهزئين، وتحذير الساخرين من العقاب في الدنيا والآخرة.

قائمة المراجع:

١-ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف، د.ط، د.ت
٢- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى، بيروت، دار الكتب العلمية،ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م
٣-ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٣٧٩
٤- ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩ هـ.
٥-ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.
٦-ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، الفرق بين النصيحة والتعيير، عمان، دار عمارط٢، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
٧-ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، القاهرة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
٨-ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
٩-ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت، ١٩٩٧ م.
١٠-ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت، ١٩٩٧ م.
١١-ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر،ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٢- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد

المعتصم بالله البغدادي، بيروت، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م
١٣-ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩ هـ.
١٤- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤ هـ.
١٥-آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، المملكة العربية السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - ط٤، ١٤٢٣هـ.
١٦-البخاري، محمد بن إسماعيل،الجامع الصحيح المختصر، بيروت، دار ابن كثير، ط٣، ١٩٨٧م.
١٧-الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، سنن الترمذي.تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٥م
١٨-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تهذيب الأخلاق، مصر- طنطا، دار الصحابة للتراث، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.
١٩-الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٢٠-الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد، المستدرك على الصحيحين.تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م.
٢١-حبنكة، عبد الرحمن، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، ط٥، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٢٢-الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، بيروت، دار الجيل الجديد، ط١٠، ١٤١٣ هـ.
٢٣-الحمامي وآخرون ، هاشم نغيمش - منهج القرآن الكريم في التصدي لأساليب الحرب النفسية (أسلوب السخرية أنموذجا)، عمان، الأردن، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، مجلة العلوم الاجتماعية، مارس ٢٠١٧، العدد(٢٣).
٢٤- حنفي، عبد الحليم، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط،١٩٨٧م.
٢٥-الخطيب، عبد الكريم يونس (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، التفسير القرآني للقرآن، القاهرة،: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

٢٦-دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، ١٣٨٣هـ.
٢٧-الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت – صيدا، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٢٨-الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط للزحيلي، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢ هـ.
٢٩-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
٣٠-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي،ط٣، ١٤٠٧ هـ.
٣١-السعدي، عبد الرحمن، الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، القاهرة، دار المنهاج، ط١، ٢٠٠٥م.
٣٢-السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم أبو الليث، تفسير السمرقندي- بحر العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣ – ١٩٩٣م.
٣٣- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، لباب النقول في أسباب النزول، بيروت، دار إحياء العلوم، د.ط.د.ت.
٣٤-الشعراوي، محمد متولي(المتوفى: ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي – الخواطر، القاهرة، مطابع أخبار اليوم.
٣٥-الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ م)، فتح القدير، دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم العلمية، ط١، ١٤١٤هـ.
٣٦-الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٣٧-صالح بن حميد وآخرون، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الناشر، جدة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨ه – ١٩٩٨م.
٣٨-الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِير، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
٣٩-الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، سبل السلام، القاهرة، دار الحديث، د.ط، د.ت.

٤٠-الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٤١-العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني (المتوفى: ١١٦٢هـ)، كشف الخفا، المكتبة العصرية- بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٤٢-عدوان، جميل محمد، السخرية في القرآن الكريم وألفاظها - دراسة وصفية، مجلة الدراسات الإسلامية- جامعة الأقصى، غزة، المجلد ٨، العدد ١، يوليو ٢٠١٩م.
٤٣-العرابيد، عبد السميع خميس، محنة السخرية والاستهزاء بالدعوة في ضوء القرآن الكريم، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين، ١٦-١٧ أبريل، ٢٠٠٥م.
٤٤-العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ.
٤٥-عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، (المتوفى: ١٤٢٤هـ) القاهرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٤٦-عمر، أحمد مختار، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٤٧-الغزالي، محمد السقا، فقه السيرة، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤٢٧هـ.
٤٨- الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، بيروت، دار الخير، ط١، ١٩٩٧ م.
٤٩-الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
٥٠-القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري(المتوفى: ١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بيروت – لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٥١-القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلميه، ط١، ١٤١٨ هـ.
٥٢- القرشي، أحمد بن محمد، الاستهزاء بالدين أحكامه وآثاره، السعودية، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٥٣-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، المملكة العربية السعودية دار عالم الكتب، ط١٤٢٣،١ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٥٤-القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، د.ت.
٥٥-قطب، سيد، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط١٥، ١٩٨٨م.
٥٦-قلعجي، محمد رواس، قنيبي، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٥٧-الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، كتاب الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٥٨-الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تفسير الماوردى - النكت والعيون، بيروت / لبنان، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.
٥٩-المباركفورى، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، د.ت.
٦٠-المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.
٦١-المباركفوري، صفي الرحمن (المتوفى: ١٤٢٧هـ) الرحيق المختوم، بيروت دار الهلال، ط١، د.ت.
٦٢-مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٦٣-المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط١،١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
٦٤-المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط١،١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
٦٥-مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، ط١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
٦٦-المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، (المتوفى: ١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٦٧-المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، التيسير بشرح الجامع الصغير، الرياض، مكتبة الإمام الشافعي، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٦٨-النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢
٦٩-النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية ط١، ١٤١١ هـ.
٧٠-الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ط. ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
٧١-الهيثمي، نور الدين، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٨٨ م.
٧٢-الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الدمام، السعودية، دار الإصلاح، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.